رحلة إلى معاهد العميان في أوروبا

وبحث في تحسين حالة عميان مصر

نجيب كحيل

رحلة إلى معاهد العميان في أوروبا

وبحث في تحسين حالة عميان مصر

تأليف
نجيب كحيل

هنـــداوي

رحلة إلى معاهد العميان في أوروبا

نجيب كحيل

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: يوسف غازي

الترقيم الدولي: ٦ ٢٦١٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٨٩٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

١- كلمة عن حالة العميان في الزمنين الغابر والحاضر	١١
٢- وصف مدارس العميان	١٥
٣- تربية العميان	٣٩
٤- مساعدة العميان	٤٣
ذيل	٥٥
خاتمة	٥٩

إلى روح الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الذي هو أول رجل في العالم سعى سعيًا حقيقيًّا في تحسين حالة العميان وفي العناية بشأنهم، وقد جعل لكل واحد منهم قائدًا على نفقته، أقدِّم هذه النفثات راجيًا أن يكون لها نصيب من العناية لدى خلفائه من السلاطين والملوك ولدى أبناء الشرق على العموم.

إلى صاحب السمو عباس حلمي الثاني خديوي مصر المعظم
مولاي

أرفع إلى أعتابكم كتابي «رحلة إلى معاهد العميان»، وهو خلاصة معلومات جمعتُها أثناء سياحة لي في الصيف الماضي. وغرضي منها الوقوف على أساليب تعليم العميان العلمي والعملي في أهم مدارسهم في أوروبا بعد ما ظهر من تأخُّرهم عندنا في هذا المضمار حين انعقاد المؤتمر الدولي الرابع لتحسين حالهم في عاصمة بلادكم في شهر فبراير الماضي. وهو المؤتمر الذي تفضلتم يا مولاي بوضعه تحت رعايتكم السامية، ولقد أتاح لي الحظ أن أكون كاتبًا لجلساته، وأن أعتني بجمع أعماله وطبعها بعدما فوض إليَّ ذلك جناب السكرتير العام سعادة العالِم العامل الدكتور محمد باشا علوي. ولما اطَّلعت بالتفصيل أثناء هذا العمل على تقارير زملائي الأطباء المصريين الأفاضل، وعرفت عدد العميان الهائل في القُطر المصري وعدم اهتمام الجمهور بأَمرهم حتى الآن، ورأيت في أبحاث علماء الغرب ومندوبي الدول الذين حضروا مؤتمرنا ما لا مزيد عليه من الاعتناء بالعميان عندهم — رغبت في زيارة مدارسهم الشهيرة، فزُرْت خمس عشرة منها في فرنسا وإنكلترا وبلجيكا وإيطاليا، ووقفت فيها على طرق التعليم والصنائع التي يزاولها العميان هناك؛ متطلعًا من وراء ذلك إلى ما يمكن تعليمه لعميان بلادنا، دارسًا قوانين الملاجئ التي تأويهم والجمعيات التي تساعدهم. ولقد آنست من مديري تلك المدارس وأساتذتها وسائر من يهتمون بالعميان كلَّ الارتياح إلى مسعاي فزودوني إيضاحات جَمَّة وإرشادات دوَّنتها هنا. ولي

أمل يا مولاي أن يكون لعملي لدى سُموِّكم حظُّ القبول؛ فأكون قد قمت ببعض الواجب لبلاد عزيزة عندي، وسهَّلت العمل للراغبين في مساعدة العميان من جمعيات وأفراد بتبيين الطرق المتَّبعة في أوروبا والتي يمكن استعمالها عندنا بعد شيء من التحوير، وبعد مراعاة أخلاق العميان عندنا ودرجات علمهم وحاجاتهم.

عبدكم الخاضع الأمين
الدكتور نجيب كحيل

الفصل الأول

كلمة عن حالة العميان في الزمنين الغابر والحاضر

ونظرة في حالة عميان أوروبا ومصر

كانت آراء الشعوب مُتَّفقة في العصور الخالية حتى أواخر القرن الثامن عشر على اعتبار العميان عالة على الهيئة الاجتماعية لا يمكن تثقيف عقولهم والانتفاع بمواهبهم العقلية وقواهم الجسدية. ولم يقتصر الأمرُ على ذلك بل قد حملت تلك العقيدة بعض الشعوب إمَّا على إهلاكهم منذ إصابتهم بالعمى، وإما على جعلهم أضحوكة في المنتديات والأسواق. وكان الفقراء منهم يلجئون إلى التكفُّف للقيام بأَوَد معاشهم فيقضون عمرهم في ظلام البصيرة والبصر، ويموتون وبعضهم متشوِّق إلى العلم دون أن يجدوا إليه سبيلًا. وجُلُّ ما أتاه بعض الأمم الراقية في مدنية القرون الوسطى أنها آوت العميان إلى ملاجئ مخصصة بجميع الفقراء، فكان فيها بضع عشرات يسيرة بالنسبة للمجموع لا يجدون فيها غير الغذاء والكساء.

ولقد أتيح لشرف الإنسانية وحظ العميان أن ظهر في القرن الثامن عشر نابغة إفرنسي يُدعى فالنتين هواي Valentin Haüy تحرَّكت في قلبه عواطف الشفقة نحو أولئك البؤساء عندما لاحظ حالتهم المنكرة، وتحقق الانتفاع بقواهم العقلية وباقي حواسهم على الرغم من فَقْد بصرهم، فآلى على نفسه أن يعلِّم قليلين منهم بواسطة حروف بارزة استنبطها. ولما رأى نتائج سعيه كُلِّلَت بالنجاح شاد في باريس أول مدرسة للعميان ظهرت في العالم، فأَمَّها في البداءة عدد قليل منهم، ثم ازداد طلابها شيئًا فشيئًا حتى وصل عددهم

إلى ١٢٠ تلميذًا تكوَّن منهم المعهد الوطني لعميان فرنسا Institution Nationale des Jeunes Aveugles. وكان ذلك سنة ١٧٨٤ وهو تاريخ رُقي العميان الأدبي والمادي.

ولما ظهرت الفوائد الجزيلة التي تُجنى من تعليم العميان أدبيًّا واقتصاديًّا دعا إمبراطور روسيا وملك بروسيا إلى بلادهما فالانتين هواي، فأسَّس في البلادين سنة ١٨٠٦ مدارس للعميان على نمط مدرسة باريس. ومنذ ذلك العهد أخذ الاهتمام بتحسين حال العميان ينتشر في أوروبا وأميركا شيئًا فشيئًا حتى رأيناهم اليوم في الغرب بفضل العلم والإحسان فئة راقية في الهيئة الاجتماعية يمكنها أن تتثقف وتتعلم وتجتني ثمرات جِدها ونشاطها.

وقد أُنشئت لهذا الغرض مدارس وملاجئ ومصانع لعميان الجنسين النشيط واللطيف وفيها آلاف منهم، وأُسست جمعيات خصوصية لحمايتهم ومساعدتهم اشترك فيها الملوك والأغنياء والفقراء، وانعقدت وتنعقد المؤتمرات في كل سنة من وطنية ودولية لمزيد تحسين أمورهم، فأصبح الأعمى اليوم في أوروبا كالمبصر قادرًا على أن يقف على أسرار الحياة الدنيا وأن يدرس العلوم والآداب، ويُتقن فنَّ الموسيقى إتقانًا يباري فيه المبصر، ويتدرَّب على بعض الصنائع والأشغال، فتمكَّن بهذه الوسائط من القيام بشئون نفسه وسدِّ عوزه، وتيسَّر لبعضهم أن يُعيل غيره من أفراد أسرته ويؤسس من ماله الخاص المكتسب محلات تجارية يزاول فيها حرفته.

أما القُطر المصري الذي يربو عدد عميانه على عميان أيِّ قُطْر بالنسبة إلى سكانه كما سيأتي ذكره، فلا يزال متأخرًا من قبيل مساعدة العميان على عكس ما يُرتجى من ثروته وكرم أبنائه الحاتمي في كل مشروع خيري. على أن تحسين حال العميان ليس أمرًا خيريًّا فقط بل اقتصاديًّا أيضًا ولا مجال للتوسع فيه هنا، فعميانا يزيدون على ١٤٨٠٠٠ بموجب إحصائية مجلس الصحة المصرية لسنة ١٩٠٧، بينهم ثلاثون ألف أعمى يتراوح سنهم من الخامسة إلى الثلاثين، ولا مدارس وطنية تعلِّمهم، ولا ملاجئ تأويهم، ولا مصانع تشغلهم، ولا جمعية واحدة تهتم بأمرهم وتقيهم طوارق الحدثان. ولا يوجد في هذا القطر مع سَعته ورَحْبه غير معهدين من هذا القبيل أسستهما سيدتان أجنبيتان: أحد المعهدين في الزيتون (قرب القاهرة) يأوي إليه ٤٠ تلميذًا، وثانيهما في الإسكندرية يحوي ١٢ تلميذًا فقط، وزاوية مجاورة للأزهر فيها نحو ١٠٠ من العميان يستظهرون ما يدرسونه. وعدا ذلك فنرى أغلب عميانا غارقين الآن كما كانوا في العصور الغابرة في بحار الظلام المادي والأدبي، لا مورد رزق حقيقيًّا لمعظمهم إلا التسوُّل بأبواب المساجد والمعابد أو تلاوة القرآن

الشريف أمام الجنائز وفي المآتم، ويرتزق بعض أفراد قليلين منهم لا يتجاوزون عدد الأصابع بمزيد العناء من فن الموسيقى أو من صناعة تعلَّموها.

وهي حالة تعسٍ وشقاءٍ تُوجب الرحمة ومزيد الالتفات، وقد كان المُنبِّه الحقيقي عليها المؤتمر الدولي الرابع الذي انعقد في القاهرة الشتاء الماضي، والفضل في اجتماعه عائد — كما يعلم الجميع — إلى العالِم العامل والوطني الغيور سعادة الدكتور الفاضل محمد باشا علوي، ولنا الأمل في أن تنجم عن هذا المؤتمر فوائد حسيَّة ولو لعدد قليل من بؤسائنا.

أشرنا آنفًا إلى أننا سنذكر عدد العميان في بعض البلاد لنقارنه بعدد عميان مصر، وقد رأينا وجوب الاقتصار على ذكر البلاد التي زرنا مدارس عميانها ومصانعهم في الصيف الماضي، وهي: فرنسا وإنكلترا وبلجيكا وإيطاليا، تحاشيًا من ملل القارئ الكريم لتعداد أرقام جمَّة، وقد ذكرنا هذه بسيطة بلا كسور وأضفنا إليها عدد عميان ألمانيا لتقدُّمها كثيرًا في تحسين حالهم وإن لم نزرها، وكذا عدد عميان الولايات المتحدة الأميركية، وقد تلقيناه من حضرة المِس جيفن مندوبة الجمهورية المذكورة في مؤتمر القاهرة، فإنها حالما علمت بأننا شارعون في وضع تقرير عن حالة عميان مصر بعثت إلينا بكشفٍ وافٍ يختص بعميان بلادها:

إحصائية سنة	البلاد	عدد السكان	عدد العميان	النسبة بالتقريب على كل ١٠٠٠٠ ساكن
١٩١٠	الولايات المتحدة	٩١٢٠٠٠٠	٦١٠٠٠	٦
١٩٠٦	ألمانيا	٥٢٢٥٠٠٠٠	٣٤٠٠٠	٦
١٩٠١	بريطانيا العظمى	٤١٠٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠	٧
١٩٠١	فرنسا	٣٨٥٠٠٠٠٠	٢٧٠٠	٧
١٩٠١	إيطاليا	٣٢٥٠٠٠٠٠	٢٨٠٠٠	٨
١٩٠١	بلجيكا	٦٥٠٠٠٠٠	٣٥٠٠	٥
١٩٠٧	مصر	١١٢٠٠٠٠٠	١٤٨٠٠٠	١٣٢

ولا حاجة للإفاضة في شرح مصابنا بعد ذكر هذه الأرقام الرسمية الناطقة بأحسن بيان عن كثرة عدد عميانننا الهائل بالقياس إلى قلة عدد عميانهم، فالتأمل فيها برهة ليس

يقضي علينا فقط بالتنبُّه إلى حالتهم، بل بالتشمير عن ساعد الجِدِّ الحقيقي لمعاضدتهم أو النزر اليسير منهم. وتأييدًا لهذا القول؛ ننظر ماذا صنعته البلاد المذكورة في هذا السبيل، وماذا صنعته مصر.

البلاد	مدارس العميان	مصانع	ملاجئ	جمعيات للحماية والمساعدة
الولايات المتحدة الأميركية	٥٧	٢١	٢١	٢٧
ألمانيا	٣٥	١٢	١٦	؟
إنكلترا	٣٤	٥٢	٢٠	٦٢
فرنسا	٢٨	١٠	٢٠	٤
إيطاليا	١٤	١٤	٢	٢
بلجيكا	٩	١	٢	٢
مصر	٢			

فمن مطالعة هذا الجدول الأخير والمقارنة بين عدد مدارس وملاجئ ومصانع العميان في البلاد المذكورة وعددها في مصر يُرى الفرق العظيم بين ما صنعه الغربيون في هذا السبيل وأهملناه نحن، فإن كنا حقيقةً من الشعوب الراقية — ونحن في مصافِّها معدودون — وجب علينا أن نسعى بكلِّ الوسائط إلى تعليم عميانِنا ومساعدتهم بكلِّ قوانا، وإلا فعلى الشفقة والحنان السلام. والآن نستميح القارئ فنَلفِت نظره إلى الفصل التالي من هذا التقرير، فعندما يزور بالخيال معنا المدارس التي قصدناها ويقف على نظامها، ويدرك هناء تلاميذها وغنى بعضها العظيم، ويطَّلع على نفقاتها من الآلاف الجنيهات، لا شكَّ العواطف الشريفة تتحرَّك في فؤاده شفقةً على إخوانه في الإنسانية، إخوانه في الجنسية والوطن: عميان مصر المساكين، فيسعى معنا إلى تحسين حالتهم، والله لا يُضيع أجر المحسنين.

الفصل الثاني

وصف مدارس العميان

بما أن وصف كل مدرسة شاهدناها وشرح ما فيها شرحًا وافيًا يستدعي الإفاضة في هذا الموضوع، وهذا مما يُحدث سآمة للقارئ الكريم، ضربنا صفحًا عن التكلم في بعضها، فاجتزأنا بذكر أوفاها نظامًا وأقدمها عهدًا وأوفرها طلبةً ومريدين. ولا شك في أن العاقل يقيس الغائب بالحاضر خصوصًا إذا كان المذكور في هذا الباب هو القاعدة الأساسية والأنموذج لنظامات كلٍّ ما لم يُذكر من المدارس الأُخر. ولو أننا زرنا خمس عشرة مدرسة وتعرَّفنا بمديريها ودوَّنا اسمنا في سجل كلٍّ منها. غير أننا كما تقدَّم نكتفي بوصف مدرستين في كلٍّ من فرنسا وإنكلترا وإيطاليا ومدرسة عاصمة بلجيكا؛ وهذه كلها هي أهم مدارس العميان في تلك البلدان وكلياتها الجامعة.

وقد مرَّ بك أن أول مَن أُلهم هذا السبيل الشريف وأخذته الغيرة الإنسانية هو فالانتين هواي مؤسس مدرسة باريس، وأنها أول ما شُيِّد من هذا النوع فكانت أقدم المدارس عهدًا وأحرى بالذكر وأولى.

(١) المدرسة الوطنية للعميان في باريس

INSTITUTION NATIONALE DES JEUNES AVEUGLES DE PARIS

هي أول مدرسة للعميان ظهرت في العالم، وعلى منوالها تأسست بعدها مدارس العميان في سائر الأقطار. أسَّسها في باريس صاحب الفضل العظيم على العميان الشهير فالنتين هواي سنة ١٧٨٤، وهو تاريخ يجب حفظه في ذاكرة كلِّ أعمى مهذب. ولكن لم تُشَد الأبنية الحالية القائمة فيها المدرسة إلا بأمر ملوكي صدر سنة ١٨٣٨، وانتقل إليها الطلبة سنة ١٨٤٣، وهي تشغل مساحة تبلغ نحو اثني عشر ألف متر مربع منها ٣٥٠٠ متر للمباني.

زُرنا هذه الدار في أواخر يونيو الماضي ومعنا كتاب توصية لجناب مديرها المسيو ونتر M. Winter من الأستاذ الرمدي الدكتور لاندولت مندوب فرنسا في مؤتمر القاهرة للعميان، فاستقبلنا وكيل المدرسة المسيو مونييه لاشتغال المدير وقتئذٍ بفحص الذكور من طلابها. وأول ما شاهدناه داخل ساحة الدار تمثال مؤسسها «فالنتين هواي» يجرِّب طرق تعليمه في تلميذه لسيير. والبناء مُؤلَّف من جناحين وبينهما بناءٌ متصل بهما مُخصَّص بالأعمال العمومية، والجناحان الأيمن للذكور والأيسر للإناث، وغير ذلك يُرى بناءان خُصِّصا بالأساتذة.

دخلنا الدار فذهب بنا الوكيل توًّا إلى قسم البنات — وهنَّ الآن سبعون تلميذة — فرأيناهن يتعلَّمن كالصبيان العلوم الابتدائية والجغرافيا والتاريخ والحساب، ولهن معمل شاهدنا فيه أنواعًا من أشغالهنَّ اليدوية.

وقام عشرون منهن أمامنا ببعض ألعاب رياضية في غاية الدقة. ثم جُسنا خلال أقسام المدرسة زائرين قاعات الدرس والنوم والأكل، وكلها في غاية النظافة، حسنة الأثاث، مُنارة بالكهرباء، مدفَّأة في الشتاء بأنابيب يجري فيها الماء أو الهواءُ الحارَّان. وللمدرسة مكتبة فيها نحو ٣٠٠٠ مجلد بحروف برايل ونحو ٢٠٠٠ بالحروف العادية، ولها مطبعة تطبع كُتبًا وقطعًا موسيقية بحروف برايل.[١]

والمدرسة تسع ١٥٠ تلميذًا و٨٠ تلميذة، وفيها الآن ١٥٠ أعمى و٧٠ عمياء، وسنهم من ١٠ إلى ٢١ سنة، وأغلب معلمي ومعلمات المدرسة أكفاء.

ومَزيَّة هذه المدرسة على الخصوص توجيه العناية القصوى إلى تعليم فن الموسيقى بدقائقه. ويستغرق تعليمه لفاقدي البصر من الجنسين ثماني سنوات يتمكَّنون في غضونها من إتقانه. حتى إن بضعة منهم تخرَّجوا في الكونسرفاتوار Conservatoire وهي أكاديمية الموسيقى الباريسية التي لا تعطي شهادتها إلا للمبرَّزين في فن الموسيقى والغناء. ويُعتنى في تعليم الموسيقى بمن أظهروا ميلًا غريزيًّا لدرسها كي لا يضيع الوقت سدًى؛ ولذلك لهم أربع أراغن كبيرة وعدد عظيم من أصناف البيانو.

[١] هو لويس برايل Louis Braille أعمى إفرنسي شهير. وُلِد سنة ١٨٠٩، وتُوفي سنة ١٨٥٢. فَقَد بصره وهو في الثالثة من عمره. وتعلَّم في المعهد الوطني لعميان باريس وعُيِّن أستاذًا فيه. ثم وضع جملة تآليف لطرق تعليمه، وابتدع بدل الحروف العادية البارزة النقط البارزة التي سهَّلت تعليم العميان في القراءة والكتابة والموسيقى. ولقيت طريقته الصعاب في بادئ الأمر ثم انتشرت وعمَّت المسكونة فأصبحت الطريقة المتبعة في أغلب مدارس عميان الدنيا وفي طبع كُتبهم.

أما العميان الذين لا ميل فيهم إلى درس الموسيقى فيقضون في المدرسة خمس سنوات فقط يُعلَّمون فيها أشغال خرط الأخشاب وعمل كراسي القش والخيزران وتصليحها ولهم مصانع لذلك، كما وأن لهم معملًا خاصًّا بتعليم تصليح الآلات الموسيقية وخصوصًا البيانو في جميع أصنافه. وفي فرنسا الآن نحو ٢٠٠ تلميذ من هذه المدرسة درسوا هذه الصنعة الأخيرة (تصليح البيانو) وبرعوا فيها حتى إنهم يرتزقون منها.

وهذه المدرسة تابعة لنظارة الداخلية يديرها خبير في أمور العميان تعيِّنه النظارة مع سائر موظفيها، ولها لجنة استشارية ومراقبون لملاحظة نظامها. كما أن لها طبيبًا وجراحًا ورمديًّا وطبيب أسنان يعودون المرضى من التلاميذ.

ولا تقبل المدرسة إلا الأعمى القابل للتعليم تتقاضى منه أجرة سنوية مقدارها ١٢٠٠ فرنك يدفعها الراغب، وبعض التلاميذ يتعلمون على نفقة الحكومة أو بلديات مدنهم، ولا يُقبل الطالب إلا إذا كان بالغًا سن ١٠ سنوات حتى ١٣ سنة.

وموادُّ التعليم فضلًا عن فن الموسيقى هي القراءة والكتابة واللغة الإفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب ومبادئ العلوم الطبيعية.

تلقَّينا هذه المعلومات من وكيل المدرسة فشكرناه. وذهبنا للسلام على مديرها فأَكرم وفادتنا، وأَشار علينا حين انصرافنا من عنده بأن نزور مدرسة برايل Ecole Braille في ضواحي باريس. ومزية هذه المدرسة التفرُّد بالأشغال اليدوية وصناعات العميان، كما أن مزية المدرسة الوطنية اختصاصها بفن الموسيقى.

(٢) مدرسة برايل في سان ماندیه

ECOLE BRAILLE A St. MANDÉ

لم يكن يُخيَّل لنا بعد زيارتنا المعهد الوطني الذي ذكرناه آنفًا الكائن في عاصمة الإفرنسيين، وبعدما شاهدنا فيه من ضروب النظام واتساع المحال، وعلمنا عدد التلاميذ فيه ونوع تربيتهم الموسيقية والعلمية — أنَّا سنرى في زيارتنا مدرسة برايل الكائنة في ضواحي باريس معهدًا أكبر منه وأكمل حاجيات وكماليات، فهو مصنع أكثر منه مدرسةً، تعددت فيه أنواع العمل، وامتلأت أقسامه بالعميان ذكورًا وإناثًا مشتغلين بأنواع حِرفهم، وتكدَّست في مخازنه مصنوعاتهم، ولا خطر لنا أن تلك المصنوعات يباع منها بنحو تسعة آلاف جنيه سنويًّا لدوائر الحكومة وللتجار. ولا عجب فقد علَّم الاختبار القائمين بأمر هذه المدرسة أنه لا يكفي الأعمى أن يكون متعلمًا تعليميًّا علميًّا فقط، بل يلزمه

أيضًا أن يحترف حِرفًا عديدة يزاولها حسب مقتضيات الأحوال، وقد توسَّعوا في ترقية هذا المعهد إذ لم يكتفوا بأن جعلوه منذ خمس عشرة سنة مدرسةً ومصنعًا، بل ملجأً يمكث فيه الأعمى الذي دخله صغيرًا وتعلَّم فيه ما شاء ممارسًا حرفته، ويصرف عليه أكلًا وملبسًا من مبيع أعماله. ولذا أصبحت مدرسة برايل بهذه الأهمية وهي أكبر مدارس ومصانع العميان في فرنسا. وقبل التوسع في هذا الموضوع نروي للقارئ الكريم كيف أُنشئت هذه المدرسة وكيف صارت مع توالي الأيام معهدًا كبيرًا ومصنعًا كامل الأدوات.

أتينا هذه المدرسة وهي في سان ماندیه على بُعد ساعة من باريس، وسلَّمنا إلى مديرها المسيو إميل جيل Emile Gille توصية بنا من زميله مدير المعهد الوطني فتقبَّلها متلطفًا، وتكرَّم فرافقنا إلى سائر أقسام المعهد راويًا لنا تاريخه وتأسيسه وما صار إليه، قال:

«يرجع تاريخ تأسيس هذه الدار إلى رجل اهتمَّ كثيرًا بأمر العميان هو المسيو ألفونس ببهو فأسَّس جمعية سمَّاها جمعية مواساة العميان، وكان غرضها جعل الأعمى البائس نافعًا لنفسه وللهيئة الاجتماعية بتهذُّبه وتعلُّمه ومزاولته حرفة يدوية تلائم أمياله الشخصية، وبالجملة مساعدة الكفيف مساعدة حسية وأدبية تكفيه ذلَّ التسوُّل وتنفع الناس به نفعًا صالحًا.

وقد استمال إليه بجِدِّه وسعيه المتواصل الوزراء والكبراء وأعضاء مجلسي الشيوخ والنواب فناصروه على إخراج مشروعه من حيِّز الفكر إلى حيز العمل. ولم يقتصر على استمالة هؤلاء العظماء، بل انتظم في سلك أنصاره جامبتا الوطني الشهير وفيكتور هوجو الشاعر المجيد، واقتدى بهما بعد ذلك من رؤساء الجمهورية سادي كارنو وفلكس فور وغيرهم من أصحاب السلطة وأرباب الأموال الذين أمدُّوا المدرسة بنفوذهم وأموالهم.

وكانت وقتئذٍ، أي سنة ١٨٨٠، في ميزون ألفور Maison Alfort وليس فيها إلا ١٢ تلميذًا. وبعد ثلاث سنوات مضت على تأسيسها زارها أعضاء بلدية السين ومجلس تلك المقاطعة فأُعجبوا بنجابة تلاميذها فوضعوها رسميًّا تحت منطقة نفوذهم، وأقرُّوا كفالة المجلسَيْن بنفقاتها، ودعوها باسم برايل الشهير، فازداد عدد الطلبة حتى بلغ ثلاثة وسبعين سنة ١٨٨٧.

وضاقت المدرسة بهم فنُقلت إلى سان ماندیه حيث هي الآن، والأرض التي شُيدت فيها قد اشتراها المجلسان الآنف ذكرهما. وفي السنة التالية زارها رئيس الجمهورية في ذلك المعهد سادي كارنو وتعهَّد نظامها فسُرَّ به. وفي سنة ١٨٩٢ أقرت الحكومة تخصيص مبلغ ٤٠٠ ألف فرنك لبناء محلات لتعليم الصنائع فضلًا عن العلوم فشُيِّد بناء فخيم

يسع ثلاثمائة عامل من العميان. وزارها سنة ١٨٩٦ المسيو فلكس فور يصحبه بعض النظار، فلفتت تلك التعطُّفات من كبار رجال فرنسا نظر الجمهور إلى المدرسة فدرَّ عليها التبرُّعات المالية. ونشأ عن ذلك أن سمحت المدرسة بقبول مَن سنُّهم دون السادسة — وكان قانون المدرسة يقضي بادئ بدء بعدم قبولهم — فشُيِّد لصغار العميان من هذه السن بناء خاص تولى العمل فيه نساء ومعلمات مبصرات وكفيفات يبذلن عناية كبرى على تربيتهم وتعليمهم.»

وافانا المدير بهذه المعلومات ودخل بنا المدرسة، وهي مؤلفة من أبنية وحديقة مساحتها ١٠٠٠٠ متر مربع. وفيها عدا محلات الدرس والنوم والأكل والرياضة والموسيقى، مخازن للمواد الأولية للصناعة ومحال متسعة للعمال المشتغلين فيها. وفي المدرسة الآن ٢٥٠ أعمى وهم ١٤٠ تلميذًا و١١٠ تلميذات.

وأول مصنع دخلناه مصنع للكراسي المختلفة التي تُصنع بالقش والخيزران أو تُصلح للمدارس والمستشفيات والثكنات. وفيه ٣٥ أعمى ومنهم بضعة يُبصرون قليلًا، وهناك بعض نساء ينجزن العمل بدهن تلك الكراسي.

ثم دخلنا مصنعًا تُعمل فيه أكاليل الخرز للموتى على أشكال شتَّى وعلى غاية من الجمال، فيُباع الإكليل منها بعشرين فرنكًا فما فوق إلى ٢٠٠ فرنك. ولا يشتغل في هذا المصنع غير الكفيفات وهن ٥٥ بنتًا بينهن من يبصرن قليلًا. ولقد يدهش الزائر من دقة العمل وحُسن النتيجة، والبرهان على ذلك أن المبيع سنويًّا من هذه الأكاليل يقدَّر بنحو ٦٠٠٠٠ فرنك.

ويلي هذا المصنع مصنع البرشِّ[٢] من جميع الأنواع فمنها ما هو للرأس أو الثياب أو البلياردو والمكانس من كل صنف، وقربه مستودع تكدَّست فيه المواد الأولية. وفي هذا المصنع يشتغل ٦٠ أعمى وعمياء، ويباع من عملهم ما ثمنه ١٦٠٠٠٠ فرنك سنويًّا.

ويليه مصنع الحبال والحُصر والسجاد، وآخر خُصَّ بالسلال وفيه ٢٠ عاملًا يستنفدون كل سنة ٣٠٠٠٠ كيلو من الغاب الهندي يصنعون بها سلال الخضار والفواكه لأسواق باريس المعروفة (بالهال) وللمستشفيات.

[٢] البرش كلمة معربة يراد بها الفرشة وهي الآلة المعروفة التي يُنظف بها الجوخ وغيره، وهي شَعر خشن أو ناعم نُسج على صفيحة من خشب.

والعمل في هذه المصانع مستمرٌّ من الصباح إلى المساء. ويرأس كلَّ معمل مبصرٌ خبيرٌ بالصناعة يفحص العمل ويوزِّعُه على العميان ويُعدُّ كشفًا عن أشغالهم ويُقيِّد الأجرة في سجل مخصوص بكل واحد منهم. ولا يُشرع في تقييد شيء باسم الأعمى إلا بعد بلوغه الثالثة عشرة من عمره فتقيد أجرته عندئذٍ ويُنفق منها عليه، وقد ذكرنا أنه يمكن أعمى هذه الدار أن يمكث فيها ما شاء مزاولًا حرفته فيُحسم جزء من أجرته لسد نفقاته وإعداد غرفة خصيصة له في سن البلوغ إذا كان عزبًا ومسكنًا إذا كان متزوجًا، ويُحسم من أجرته أيضًا خمسة في المائة تكون معاشًا له إذا شاخ وعجز عن التكسب؛ لذلك ترى عميان هذا المصنع يشتغلون بارتياح ونشاط واثقين بحُسن الحال والمآل.

وإشراف البصراء على الأكفاء في هذا المصنع الكبير يساعدهم على إتقان المصنوع وجعله صالحًا للبيع؛ لذلك لا تقل مصنوعات مدرسة برايل جودة عن غيرها فيباع منها سنويًّا بنحو تسعة آلاف جنيه للمصالح العمومية وكبار التجار وغيرهم من أفراد الناس.

وتعدد الصناعات في هذه المدرسة وكثرة الطلب هما المميزان لها. وزد على ذلك استيفاء التعليم فيها شروطه من كلِّ الأوجه، وهو مقسوم إلى خمسة أقسام:

(١) القسم التهذيبي والأدبي: ويُعلَّم الأعمى فيه كيفية المعيشة ليغدو كفيل نفسه ويقوم بشئون معاشه غير معوِّل على أحد. ويُعلَّم فيه حُسن السلوك واللياقة والتأدُّب ويكون ذلك بتقويم المعوج من أخلاقه وإكسابه عادات حميدة تقرِّب الناس إليه.

(٢) القسم الطبيعي: ويُعنى فيه بتقوية الجسم بالطرق الفنية ومباشرة الرياضة البدنية بالاستحمام والسباحة في الأحواض والألعاب بالآلات المعدَّة لذلك والعدْو والرقص.

(٣) القسم العقلي: يُعلَّم الصغار من العميان أصول الكلام حتى يتعوَّدوا جلاء التعبير فيُطلب منهم وصف أشياء عادية واستظهار أشعار ورواية قصص صغيرة. ثم يتعلَّمون الكتابة والقراءة على طريقة برايل والحساب والتاريخ وتقويم البلدان، ودرس الأشياء الحسيَّة كالثلج والخشب والفحم والملابس والنباتات وأعضاء جسم الإنسان. وهناك متحف حوى عددًا من هذه الأصناف ومن الآلات البخارية وغيرها، فتتقوَّى بهذه الدروس حاسة اللمس التي يستعيض بها الأعمى عن حاسة البصر. أما مدة التعليم فهي عشر سنوات من الثالثة إلى الثالثة عشرة. ثم ينتقل التلميذ إلى المصنع وهو القسم الرابع من التعليم (٤).

(٥) القسم الموسيقي: وهو مختص بالإناث. وليس الغرض من تعليم الموسيقى تخريج الضريرات بارعات في هذا الفن، إنما القصد إضافة شيء منه إلى معارفهن العمومية وإكسابهن رقة الشعور.

(٢-١) شروط الدخول

يُدفع مبلغ ١٠٠٠ فرنك سنويًّا للداخلية و٦٠٠ لنصف الداخلية و٤٠٠ للخارجية مدة سِني الدراسة. على أن عددًا كبيرًا من عميان هذه الدار يُقبلون مجانًا. بشرط أن تكون سنُّ الطالب من ٣ إلى ١٣ سنة، مالكًا جميع قواه العقلية، حاصلًا على غير ذلك من الشروط المدونة في سجل المدرسة.

(٢-٢) ميزانية المدرسة

تتعهَّد مقاطعة السين بميزانية مدرسة برايل، وتمنحها بلدية باريس إعانة سنوية قدرها ٣٠ ألف فرنك. وهي تنفق على كلِّ تلميذ ألف فرنك، فتكون النفقات عشرة آلاف جنيه غير الإدارية منها وغير نفقات الخدمة وما شاكل، تقابلها أرباح تناهز تسعة آلاف جنيه من أعمال العميان.

اطَّلعنا على ذلك كله وودَّعنا مدير المدرسة شاكرين له إيضاحاته، وانصرفنا معجبين بكل ما رأينا وعلمنا؛ إذ لم يكن يخطر على بالنا — كما قلنا آنفًا — أن مدرسة كانت في بدء أمرها صغيرة جدًّا تكبر حتى تصير مصنعًا فخيمًا كامل المعدات. ولكن لا غرو فالبذرة إذا طُرحت في أرض جيدة وعولجت بالتعهُّد نَمَت وأَيْنعَت وجاءت بأثمار طيبة. وعسى أن نجني مثل تلك الثمار في قُطرنا في عهد قريب إن شاء الله.

(٣) دار العلوم والموسيقى الملكية للعميان في لندره

THE ROYAL NORMAL COLLEGE AND ACADEMY OF MUSIC AT LONDON “UPPER NORWOOD”

بعد الوقوف على أساليب تعليم العميان في فرنسا وبلجيكا وإيطاليا (وسيأتي ذكر مدارس البلدين الأخيرين)، رغبنا في أن نزور أيضًا معاهدهم العلمية المشهورة في إنكلتره، فقيل لنا إن في لندره وضواحيها مدرستين كبيرتين، إحداهما للدروس العالية والموسيقى كائنة في قسم من أقسام لندره يقال لها نوروود، وثانيتهما للصنائع خاصةً في موضع اسمه ليزرهيد، فسرنا إلى عاصمة بريطانيا العظمى ومعنا كتاب توصية من الأعمى الإفرنسي الشهير المسيو موريس دي لا سيزران Maurice de la Sizeranne، إلى الأعمى الإنكليزي الشهير السير فرنسيس كامبل Sir Francis Campbell مدير دار العلوم والموسيقى

الملكية؛ وهو رجل ذائع الصيت في الغرب معروف في عالم العميان بأعماله الجليلة ومساعيه المبذولة لتحسين حالتهم، فلم يُسعدنا الحظ بمقابلته يوم زيارتنا ذلك المعهد فقد كان حينئذٍ في بلاد الغال لحضور مؤتمر وطني للعميان أقيم في إكستر Exter. ولكن تشرَّفنا برسالة منه يقول فيها إنه آسف لعدم تيسُّر مقابلتنا، ويبالغ في المجاملة والتلطُّف؛ إذ يقول فيها أيضًا: «كنت أستفيد منكم علمًا كثيرًا بأحوال عميان مصر وطرق مقاومة العمى عندكم»، وزودنا معلومات جمة سيجيء ذكرها. على أن إدارة المدرسة قد أناطت بمعلمة مبصرة تُدعى المس نكسون الطواف بنا في جميع أقسام المدرسة، فلم تدع مكانًا إلا أطلعتنا عليه. وإليك ما علمناه وشاهدناه:

أُنشئت هذه المدرسة سنة ١٨٧٢، وهي الآن مشمولة برعاية جلالة ملك الإنكليز وجلالة الملكة، وعناية عدد كبير من أشراف بريطانيا العظمى منهم سمو ولي العهد وعقيلته، ولها أعضاء عديدون من الوجهاء تعهَّدوا بترقية شئونها جهد الطاقة وإبداء الآراء التي تخطو بها إلى الأمام، ولها جمعية عمومية ومجلس إدارة له رئيس ونائبا رئيس وأعضاء وأمين صندوق، ولها كذلك لجنة من كرائم السيدات وأطباء اختصاصيون ومهندس ومراقبو حسابات. أما مدير المدرسة العام فهو السير فرنسيس كامبل.

ويدهش زائر هذه الدار من أشياء عديدة نذكرها بإيجاز؛ لأننا لم نجدها في المدارس التي زرناها قبلًا، منها: فخامة البناء وحُسن هندسته وتعدد المحالِّ المكون منها مجموعه، فليست المدرسة بناءً واحدًا كبيرًا بعضه متصل ببعض، ولكن كل قسم من أقسام التدريس والنوم والأكل واللعب بمعزل عن الآخر مع ترتيب هندسي يوصل بين منافع المدرسة. ثانيًا: اتساع الحديقة التي فيها الأبنية وجمالها فيُخيَّل للناظر أنه في منتزَّه عام زاهر كحديقة الأزبكية، ولكن على أتم التنسيق؛ كثير المماشي النظيفة الصالحة لسير الدراجات، وفيها أيضًا بحيرة في وسطها جزيرة صناعية تظللها أشجار باسقة، فيتمرَّن العميان في قوارب البحيرة على التجذيف، وعندما يبلغ النَّصب منهم يقصدون الجزيرة ويتفيئون ظلال أشجارها يستريحون تحتها. ثالثًا: غرفة الألعاب الرياضية الكائنة في الحديقة فهي عجيبة باتساعها طولًا وعرضًا، وفيها خمسة وخمسون نوعًا من الآلات الرياضية المقامة على الطرق الإنكليزية والسويدية والألمانية والأميركانية أرانا استعمال أغلبها أعمى يُبصر قليلًا. رابعًا: غرفة للرقص وأخرى للسير بالقباقيب Skating Ring. خامسًا: بحيرة خاصة بالسباحة وهي عبارة عن مُسطَّح مستطيل طوله عشرون مترًا في عرض عشرة يتعلم فيه العميان السباحة. سادسًا: قاعة الدراجات، وفيها ١٢ دراجة ومصنع صغير

لتصليحها مجاور لها، ثم مركبات «أومنبوس» ذوات طبقتين كحال هذه المركبات في أوروبا ليتدرَّب العميان على الطلوع إليها والنزول منها ليتيسَّر لهم نفس الأمر في لندره المزدحمة بالسكان وغيرها من المدن. سابعًا: محلات النوم، وهي مخادع في غاية النظافة والملاءمة للطرق الصحية، ولا ينام في المخدع إلا أعميان أو ثلاثة، وفي مواضع الأكل موائد لعشرة تلاميذ. وهذا كله لم نره في معاهد العميان الإفرنسية والبلجيكية والإيطالية، حيث ينام نحو أربعين تلميذًا في موضع واحد ومثل هذا العدد أو أكثر يأكلون في محلات الأكل. وأخيرًا اختلاف زي التلاميذ ذكورًا وإناثًا فلا يتفق ملبس الواحد مع الآخر إلى نظافة تامة وحُسن هندام، وذلك بعكس المدارس الأخرى التي تجعل زي تلاميذها واحدًا، وخلاصة القول: إن الزائر الذي قد يكون تفقَّد مدارس أُخرى يشعر بثروة مدرسة لندره وسخاء القائمين بإدارتها، ولا عجب ففيها ثمانون أعمى وسبعون عمياء ويُنفق عليهم جميعًا نحو ١١ ألف جنيه سنويًّا.

(٣-١) غرض المدرسة

غرضها إعداد العميان لمنهج الجامعات الكبرى، أعني تعليمهم علمًا عاليًا في الآداب والعلوم وإتقان فن الموسيقى إتقانًا يمكِّنهم من تعليمه. ونأتي الآن ببعض الإيضاحات عن طرق التعليم في هذه المدرسة فهو يقسَّم فيها إلى قسمين؛ بدني حسي وأدبي عقلي، والمقصود من «الأول» إنماء أبدان العميان وتقوية عضلاتهم وشد أعصابهم ومنحهم النشاط الذي ينسون به حاستهم المفقودة. ولا يختلف اثنان في أن العقل السليم في الجسم السليم، والعقل العليل في الجسم السقيم؛ لذلك هيَّأَ القائمون بإدارة هذه المدرسة قاعات الرياضة البدنية التي ذكرناها وفيها الآلات العديدة، وأنشئوا ساحات التزحلق بالقباقيب والسباق والرقص وحوض السباحة والدراجات والأراجيح وغيرها، وجعلوا التعليم البدنيَّ إجباريًّا لجميع التلاميذ والتلميذات.

والمدرسة تدعو الجمهور لمشاهدة حفلات يُظهر فيها العميان قوتهم ورشاقتهم بما يأتونه من التمارين المدهشة والألعاب الرياضية المتنوعة، وقد شهد المرحوم الملك إدوار السابع إحدى هذه الحفلات فسُرَّ منها فبعث مهنئًا مدير المدرسة ببراعة تلاميذه في هذه الألعاب وبكلِّ ما رآه في المدرسة.

أما القسم الأدبي العقلي فيقسَّم إلى أربعة:

الأول: تحضيري، ويشمل القراءة والكتابة والتعليم الديني والحساب وعلم النباتات وعلم الأشياء. وهذا القسم مخصوص بالأحداث الذين يتمرَّنون أيضًا على الانتفاع بأيديهم وأصابعهم وهي تقوم في المستقبل مقام البصر المفقود.

القسم الثانوي: يتعلم فيه التلميذ آداب اللغة والتاريخ والطبيعيات والرياضيات، والتمرين على الآلة الكتابية مع الكتابة بإيجاز (الخط المختزل)، واللغات الإفرنسية واللاتينية واليونانية. وعند انتهاء التلميذ من هذا القسم يقدم امتحانًا في الكليات إذا جازه نال من نظارة المعارف شهادة تؤهله للتدريس، وقد تمكَّن ستون أعمى تخرَّجوا في هذه المدرسة من التعليم في معاهد العميان وعُيِّن ثمانية منهم أساتذة في مدارس عامة، وقد أَنشأت المدرسة لتوسيع نطاق معارف العميان مكتبة تحوي ستة آلاف كتاب بالإنكليزية وغيرها من اللغات الآنف ذكرها، يُقرأ بعضها على جماعات منهم، كما تُقرأ لهم الجرائد اليومية والعلمية ليكونوا واقفين على حوادث الدنيا والاكتشافات والاختراعات الحديثة.

ومما يستلفت النظر في هذا القسم تدريب التلاميذ على استعمال آلة كتابة المبصرين؛ Typewriter وذلك ليتمكنوا من مراسلة البصراء من أقاربهم وأصحابهم. ولا يَتوهَّمنَّ القارئ أن الأعمى يخطئ كثيرًا في كتاباته بل يعمل عمله كالبصير، وحسبي صدقًا على ذلك: توظيف أحد عشر أعمى متخرجين في هذه المدرسة سنة ١٩٠٩ في محالٍّ تجارية للكتابة على الآلة الكاتبة، وعدد الشهادات الواردة على المدرسة؛ إقرارًا بسرعة عمل العميان وإتقانه، وقد رأينا آلات مختلفة يكتب عليها التلاميذ والتلميذات.

القسم الموسيقي: هذا القسم يتولى تعليم العميان الميَّالين إلى فن الموسيقى حتى يصبحوا قادرين على تعليمه، ويشمل تعليم البيانو والأرغن والغناء ونظم الألحان وإدارة الأجواق الموسيقية وغيرها؛ لذلك استحضرت المدرسة ٦٠ بيانو وخمسة أراغن، وأنشأت مكتبة عظيمة تحوي عددًا من القوائم الموسيقية على طريقة برايل، وقد صرفت المدرسة عنايتها خصوصًا إلى هذا القسم الموسيقي لتخريج أساتذة في الموسيقى حتى تكون الأفضلية لهم دون مراعاة لفقدهم البصر ولكن لكفاءتهم وحذقهم، وقد ذُكِر في تقرير المدرسة سنة ١٩٠٩ أن خمسة وأربعين أعمى متخرجين في هذا القسم قد حصلوا على وظائف مختلفة في إنكلتره أو في مستعمراتها أو في الخارج.

القسم الصناعي: وهو مختص بتعليم العميان الدوزنة، أي تصليح أوتار البيانو، حرفة يرجع تاريخها إلى أعمى إفرنسي شهير اسمه كلود مونتال برع في فن تصليح البيانو وأسَّس معملًا باسمه، فأصبحت هذه الحرفة من ذلك اليوم تُعلَّم للعميان، فبرعوا فيها حتى باروا زملاءهم المبصرين، ولا عجب فحاستا السمع واللمس أدق عندهم لفقد بصرهم. ومدرسة لندره تعتني اعتناءً كبيرًا في تعليم هذا الفن ولا تمنح شهادات فيه إلا من عُرِف بالنبوغ إبان دروسه وفي الامتحان النهائي أيضًا.

هذه أقسام تعليم العميان الذكور، أما البنات فيُعلَّمن ما خلا القسمين التحضيري والموسيقي؛ الدلك والأشغال المنزلية. ولذا يُوظَّفْن مدبرات للمنازل ومربيات للأطفال في الأُسر، ومنهنَّ مَن أدركن مراكز تحسدهن عليها المبصرات.

فها قد وصفنا للقارئ حالة التعليم في هذه المدرسة، ونزيده علمًا بأن التلاميذ يتلقون فيها فضلًا عن المواد المذكورة دروسًا في حُسن الإلقاء وبراعة النطق، وفي علوم تركيب الحيوان والنبات ووظائف الأعضاء والصحة العمومية، وفي أديان بلاد الصين والثورة الفرنساوية وغير ذلك.

(٣-٢) شروط الدخول في هذه المدرسة

تقبل المدرسة عميان الجنسين من سن ست سنوات إلى إحدى وعشرين، ويُفضَّل من الطالبين من يعرف القراءة والكتابة على طريقة برايل. وأجرة التلميذ تختلف حسب اختلاف عمره، فهي عن السنة الكاملة كما يجيء:

٣٥ جنيهًا إنكليزيًّا لمن كان عمره أقل من ١٣ سنة.

و٤٥ جنيهًا إنكليزيًّا لمن كان عمره بين ١٣ و١٦ سنة.

و٦٥ جنيهًا إنكليزيًّا لمن كان عمره أكثر من ١٦ سنة.

وفيها بعض التلاميذ المجَّانيِّين.

(٣-٣) دخل المدرسة ونفقاتها

بلغ دخل هذه المدرسة سنة ١٩٠٩ عشرة آلاف جنيه منها ٢٥٠٠ جنيه تبرعات واشتراكات والباقي من دخل ممتلكاتها ومن أجور التعليم وإعانة الحكومة. أما النفقات فبلغت ١١ ألف جنيه، فالعجز ألف جنيه جُمِع من ذوي الإحسان.

وبعد هذا البيان لا حاجة إلى الإفاضة في الكلام على راحة التلاميذ وهنائهم في هذا المعهد الباهر الذي خرجنا منه ونحن نتأَمَّل في حالة عميانِنا عاقدين نيتنا على السعي بكل قوانا. ولا نسعى لإنشاء قصور باذخة وجنان زاهرة يسكنون بها ويُعلَّمون فيها كإخوانهم تلاميذ مدرسة لندره؛ ولكن لإقامة مدرسة وطنية تلم شعث البعض منهم، وتنير بصائرهم بالتعليم فقط حتى نخطو خطوة إلى الأمام. وحسبنا أن تتكلَّل مساعينا بالنجاح لدى أرباب الشأن وأُولي البر والإحسان.

(٤) مدرسة فقراء العميان الملكية في ليزرهيد

THE ROYAL SCHOOL FOR THE INDIGENT BLIND AT LEATHERHEAD, SURREY

زرنا هذه الدار الأنيقة التي في ضواحي لندره فلم نلقَ مديرها. وكان، كالسير فرنسيس كامبل مدير المدرسة التي مرَّ ذكرها، في مؤتمر العميان المنعقد في إكستر، فاستقبلنا أحد أساتذتها المستر آدم وهو مبصر طاف بنا في أقسامها كافة، وما نشهد إلا بما رأينا.

أُنشئت هذه المدرسة سنة ١٧٩٩ في ساوزورك Southwark، ثم نُقلت سنة ١٩٠٢ إلى ليزرهيد. وهي أكبر مدارس عميان المعمورة اتساعًا ومن أتمها نظامًا. وفيها الآن ٢٢٠ أعمى منهم ١٢٠ تلميذًا و١٠٠ تلميذة. وهي ممتازة عن غيرها من مدارس العميان باحتوائها كل ما وصل إليه العلم من ضروب التحسين في إنشاء المعاهد العلمية؛ موقع جميل، وهواء صحي، وعناية كُلِّيَّة، وتعليم صحيح ينير بصيرة فاقد البصر، صفات جعلت هذا المعهد كعبة القصَّاد ومحطَّ رحال العميان.

وهذه المدرسة مشمولة برعاية جلالة ملك إنكلتره والملكة، وقد صادقت الحكومة الإنكليزية سنة ١٨٢٦ على منفعتها وحُسن جدواها، ولها مجلس إدارة وجمعية عمومية؛ مؤلفان من أعيان لندره وأصحاب النفوذ والرأي المسموع في إنكلتره، ولها رئيس يديرها ونائبون عنه وأطباء اختصاصيون ومهندس ومحامٍ. وبالجملة نخبة من ذوي الفضل والوجاهة يتكفَّلون بسير هذا المعهد العظيم على نظام بديع. ومديرها الحالي الرفرند سنت كلير هيل Rev. St. Clare Hill.

وقد بُنيت هذه الدار على مساحة من الأرض تبلغ أربعة فدادين بعد أن طاف منشئوها في إنكلتره وسائر بلاد أوروبا للوقوف على أحسن الطرق التي تكفل راحة العميان وتخفيف البلاء عنهم بالتعليم والتهذيب. ولم يبخل المهندسون الذين وضعوا رسومها في جعلها بناءً فخيمًا حاويًا الضروريات والكماليات، ففيها حُجر للنوم متسعة طَلِقة الهواء؛ منها ما هو للذكور ومنها ما هو للإناث، ولكل قسم منهما حمامات فيها الماء البارد والحار حين الطلب، ومحالُّ للموسيقى وأخرى للمعالجة، وقاعات لتلقِّي العلوم والآداب وأخرى لتعليم الصنائع، وغرف للاستراحة ومطالعة الكُتب المروِّحة النفس من عناء الأشغال وغيرها للألعاب والرياضة البدنية. وهذه الغرف كلها مُنارة بالكهرباء، مدهون أعلاها بالزيت، محوط أسفلها بالقيشاني، معرَّضة للشمس والهواء حسب النظام الصحي، مدفأة في الشتاء بالماء الحارِّ المار في أنابيب بين جدرانها.

وللألعاب العديدة المختلفة الأنواع الموجودة في هذه المدرسة فوائد جمَّة، منها: ترويح الفكر من عناء الأشغال اليومية، وترويض أنفس أولئك البؤساء، وتوطيد عُرى الصداقة والأُلفة بينهم، وتُقرأ لهم في المساء الجرائد؛ ليطَّلعوا على الأخبار اليومية، ويكونوا على علم بأنباء البلاد القاصية والدانية.

وكذلك يُقرأ لهم شيء من آداب لغتهم وتاريخ بلادهم لإنهاض هممهم وتشديد عزائمهم.

وفي داخل المدرسة مضخَّات لإطفاء الحريق، وقد أُعطيت إشارته مرارًا إلى العميان دون شبوب النار؛ وذلك لتدريبهم على النجاة بأنفسهم، فكانت النتيجة في جميع الأحوال أنهم تمكَّنوا من الخلاص والخروج من محالِّهم بكلِّ هدوء وسكينة مع ظنِّهم أن النيران تأكل جدران مدرستهم، فتأمَّل.

أما الحِرف التي تُعلَّم للذكور فهي صُنع السلال والكراسي الخيزران وما شاكل ذلك، وقد رأينا في معمل خاص بها ١٢ عاملًا بعضهم يُبصر قليلًا، وفي معمل السجادات والماشي ٢٨ تلميذًا. وأفخر ما يُصنع من السجاد في هذه المدرسة صُنع أعمى أصم أبكم، ولله في خلقه شئون.

ويوجد معمل للبرشِّ من جميع الأنواع يشتغل فيه ٣٤ أعمى، ومحل لتصليح البيانو وفيه ١٨ عاملًا، وكذلك يتلقى كثيرون دروسًا في الموسيقى. على أن مزية هذه المدرسة اختصاصية في الصنائع اليدوية غالبًا.

أما الإناث فيُعلَّمن الخياطة والتطريز بالإبرة أو بآلات مخصوصة، والنسج باليد وبالآلات أيضًا، وصُنع كراسي الخيزران والقش والشالات والأستار اليابانية والرتق، وكذلك يشتغل بعضهن في فن المطبخ.

أما مصنوعات العميان فتباع في الأسواق العمومية غير أن هناك امتيازًا في بيعها أُعطيَ بعضَ المخازن فيقصدها من يروم مساعدة هؤلاء البؤساء وترويج بضاعتهم.

وأَساليب التعليم في مدرسة ليزرهيد مفيدة؛ فيبدأُ الطالب أو الطالبة بتعلُّم ما يتلقنه البُصَراء في مدارسهم من قراءة وكتابة وحساب ونحو وجغرافيا وتاريخ وعلوم طبيعية على طريقة برايل. وجميع العميان يتعلمون الكتابة على الآلة الكتابية المعروفة كي يتمكَّن أهلهم وغيرهم من قراءة ما يكتبونه. ثم يختار الأعمى بعد تعلُّم هذه المبادئ ما يروق له من الحِرف المذكورة آنفًا.

(٤-١) نظام المدرسة

يتفقَّد سير المدرسة بنظامها أُناس عليهم مراقبتها إلى أجل معلوم، فيرفعون إلى مديرها تقاريرهم عما رأَوه، ويلفتون نظره إلى النقص أو الخلل الذي يتبين لهم أثناء المراقبة؛ فيتولى المدير الإصلاح المطلوب. ونفقات التلميذ السنوية ثلاثون جنيهًا إنكليزيًّا يدخل فيها التعليم واللبس والغسيل والكُتب وآلات الحِرف والعناية الطبية. ولا يُقبل فيها تلميذ إلا وهو في ما بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين فقط، ويُرفض من كان متزوجًا أو مصابًا بأمراض مزمنة.

أما دخْلها فمن الاكتتابات العمومية والهبات والوصيات سواءً كانت عقارًا أم منقولًا ومن أُجرة المدرسة، وقد تبلغ النفقات السنوية ١٧٠٠٠ جنيه إنكليزي منها ١٤ ألفًا دخْل ما ذُكر، والثلاثة الباقية تُجمع سنويًّا من ذوي الإحسان وممن يهمهم تعليم العميان وتهذيبهم.

ومبلغ ثلاثة الآلاف جنيه ليس بالقليل ويلقى المُناط بهم جمعه بعض الصعوبة، ولكن لا تخور عزائمهم ولا تثبط هممهم في إدراك قصدهم النبيل لعلمهم أن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا.

وفي الختام أقول: إن هذه المدرسة هي أكبر المدارس التي زرتها وأتمُّها نظامًا. غير أني تركتها وفي النفس غصَّة من عدم وجود مدرسة واحدة نظيرتها في قُطر غنيٍّ كالقطر المصري، غني بوجهائه وكرمائه، غني خصوصًا بعميانه.

(٥) المدرسة الملكية للعميان والصم البكم في بروكسل

INSTITUT ROYAL DE WOLWUE – BRUXELLES pour les Aveugles et les Sourds-Muets

كان البلجيكيِّون في مؤتمر القاهرة لتحسين حال العميان أكثر الأجانب عددًا، وأظهرت حكومتهم انعطافًا كبيرًا عليه بانتدابها لحضوره ثلاثة من كبار رجالها، هم: الأب ستوكمانس الرئيس العام لطغمة الفرير ومن أشهر محبي العميان، والمسيو فان دن هوفيل ناظر المعارف سابقًا، والمسيو رابسيت وكيل مجلس الشيوخ. وزد على ذلك أنهم كان لهم في نفس مؤتمرنا القدح المُعلَّى بما أتحفونا به من التقارير الوافية والمواضيع الرائقة في أمور تحسين حال العميان، وما ألقوه من الخُطب التي نالت إعجاب أعضاء المؤتمر جميعًا؛ فلذا وجبت زيارتنا إياهم فقصدنا بروكسل عاصمة البلجيك للوقوف في أكبر معهد لعميانهم على طرق تعليمهم. لا سيما وأن بلجيكا أُصيبت منذ مائة سنة بانتشار الرمد الحبيبي بين سكانها كما نحن به مصابون فقاومته بهمة وحزم، حتى لقد سبقت سائر البلاد الأوروبية التي أصيبت به وكادت تقطع دابره فلم يبقَ من سكانها المصابين به إلا ٦ أو ٧ في المائة.

قصدنا المعهد الملكي وهو للذكور فقط، وفيه من العميان الآن ١٦٠ تلميذًا، ومن الصم البكم ١٩٠؛ أي إنه حوى ٣٥٠ شخصًا من الفئتين، كلٌّ منهما بمعزل عن الأخرى. وقابلنا جناب المدير وهو راهب كسائر أساتذة المدرسة، ورجوناه أن يجمعنا بحضرة الأخ أيزيدور كليه Frère Isidore Clé ليكون مرشدًا لنا في زيارتنا المدرسة، وهو مَن حضر مؤتمر القاهرة، وأَجاب فيه على بعض الأسئلة المطروحة للبحث، فاعتذر لتغيُّب الأخ المذكور تغيبًا وقتيًّا، ووكَّل بنا أستاذًا أقام في المدرسة خمسين حولًا يعلِّم عميانها فكان بأمورهم ثقة خبيرًا وفي إيضاحاته فائدة كبرى، فذهب بنا إلى قاعة الاحتفالات وكانت فيها حينئذٍ جوقة موسيقية مؤلفة من ٦٠ أعمى يعزفون بجميل الألحان فسمعنا بعض القطع. وخرجنا إلى ممشًى طوله ٣٠ مترًا وعرضه ٤ أمتار، أقيمت على جوانبه أربعون خلوة لكلٍّ منها بابان من زجاج سميك، وفي كلٍّ منها أرغن أو بيانو أو آلات موسيقية أخرى يتمرن العميان عليها ويُشرف عليهم أستاذ موسيقي.

وما مضت فترة من الوقت حتى حضر الأخ كليه فأكرم وفادتنا وسُرَّ بلقائنا في داره على غير موعد سرورًا عظيمًا دلَّ على كرامة خُلقه. ثم سار بنا إلى مصانع المدرسة شارحًا أعمالها وأَهم أنواعها، فمنها ما خُص بتصليح كراسي القش والخيزران وعملها، ومنها ما

تفرَّد بصنع السلال على اختلاف أصنافها. ثم سار بنا إلى المطبعة، وقد استنبط دليلنا لها آلات تسهِّل كثيرًا للعميان طَبْع كُتُب برايل، وتقلِّل نفقات الطبع والورق، وكذلك قد اخترع آلات تسهِّل الكتابة للعميان. وعند انتهاء زيارتنا وقفنا منه على المعلومات الآتية:

أَسس الدار الملكية للعميان والصم البكم في بروكسل سنة ١٨٣٥ راهبٌ يُدعى تريست، وهي الآن تحت إدارة طغمة الفرير. وليس غرضها تعليم العميان آدابًا وعلومًا عالية بل حِرفًا تمكِّنهم الارتزاق. وهي لا تقبل غير الذكور من أبناء السادسة إلى العشرين، يُنفق على كلٍّ منهم ٢٥ جنيهًا؛ أي إن نفقتهم تبلغ نحو ٩٠٠٠ جنيه، لأن عددهم ٣٥٠ تلميذًا. وتقوم البلديات بنصف نفقاتهم وبسائر نفقات المدرسة من إدارة وأجور أساتذة وخدمة، وتشترك الحكومة البلجيكية بـ ٢/٨ والمديرية التي يرسل التلميذ منها بالـ ١/٨.

أما مواد التعليم فهي التعليم الديني والقراءة والكتابة بطريقة برايل، واللغتان الإفرنسية والفلامندية، والإسبيرانتو وهي لغة خصوصية تجمع بين سائر الشعوب، وقليل من الإنكليزية والألمانية للأزكياء من العميان، وتاريخ بلجيكا وجغرافيتها وتقويم البلدان، ومبادئ القوانين النيابية، والحساب، وعلم الصحة والرياضة البدنية، والغناء والموسيقى ودوزنة البيانو، وعمل السلال والكراسي وتصليحها.

وللمدرسة جمعية مخصوصة بحماية العميان المتخرجين فيها وتوظيفهم كأساتذة للموسيقى في مدارس المبصرين أو لأولاد الأسر وتشغيلهم بعمل يدوي للصناع منهم؛ ولهذا الغرض تُوزع الجمعية كل سنة في مدن بلجيكا وقراها كافة جدولًا مشتملًا على أسماء العميان وعنواناتهم ونوع الصنعة التي يزاولونها، كما تسعى لدى كبار التجار بالتزام أعمال الكراسي والسلال اللازمة لتجارتهم فتشغل عميانها بتلك الأعمال وتنفعهم نفعًا جزيلًا.

ولا بد لنا قبل الختام من الإشارة إلى نصيحة مبنية على اختبار طويل أبداها لنا جناب الأخ كليه. وهي أن نضمَّ إلى مجلس إدارة الجمعية التي تؤسس عندنا لمساعدة عميانِنا بعضَ العميان النبهاء وذوي الوجاهة منهم في الهيئة الاجتماعية لاستشارتهم أحيانًا في حاجيات إخوانهم العميان فهم أعرف ببعضها من المبصرين. على شرط ألا يكون لهم الحول الكبير على أن كثرتهم أو إبعادهم مطلقًا أمران تضيع بهما الفائدة.

فشكرنا جناب الأخ على إيضاحاته وودَّعناه ونحن معجبون بالشعب البلجيكي؛ لأنه أقرب الشعوب إلينا من حيث عدد السكان فهو يبلغ ٧ ملايين نسمة والشعب المصري ١٢ مليونًا. ولكن شتان ما بين عدد عميانه وهم ٣ آلاف وخمسمائة وعدد عميانِنا وهم

١٥٠ ألفًا، وشتان ما بين اهتمامه بشئون العميان وإهمالنا العميان عندنا. أصلح الله أحوالنا إن الله على كل شيءٍ قدير.

(٦) دار العميان لسانت جيوزبيه ولوشيا في نابولي وهي أعظم وأشهر معهد موسيقي للعميان في إيطاليا

ISTITUTO DEI CIECHI DEI S. S. GIUSEPPE E LUCIA di Napoli

قصدنا هذه الدار وكان جناب الأستاذ أنجلوتشي Prof. Angelucci مندوب إيطاليا في مؤتمر القاهرة وأستاذ الرمد في كلية نابولي الملكية قد أنبأ مدير المدرسة الكافلير إدواردو كونتي Cav. Ed. Conti بعزمنا على زيارتها، فتكرَّم جنابه واستقبلنا على باب المدرسة عند وصولنا في الموعد المضروب، وبالغ في إكرامنا فهيأ جوقتين للموسيقى؛ إحداهما مؤلفة من ٢٥ أعمى، والثانية من ٤٠ أعمى، وكلُّهم من تلاميذ المدرسة، فعزفتا بأحسن القطع الموسيقية، وتشتغل الأولى بالآلات الهوائية، والثانية بالآلات الوترية، ومديرا الجوقتين أعميان.

ثم طاف بنا المدير في أرجاء الدار وهي فسيحة على شكل مربع مقسوم إلى أقسام عديدة. وإليك ما رأيناه وعلمناه:

تأَسَّست هذه الدار — وهي أقدم معهد للعميان في إيطاليا — سنة ١٨١٨ بأمر ملكي من فرديناند بوربون الأول ملك سيسيليا وعلى عهده. وكان العميان قبل ذلك في دار واحدة مع غيرهم من الفقراء المبصرين، فأراد الملك عزل العميان رغبةً منه في تعليمهم وجعل معهدهم هذه الدار. وكانت حينئذاك ديرًا للجزويت فأمر بإحضار ما يلزم لها من باريس حيث أسَّس سنة ١٧٨٤ أول معهد للعميان، وقد مر ذكره.

وفي السنوات الأولى من افتتاحها سارت على أقوم نهج؛ إذ أمكن تعليم العميان بعض الأدبيات والفلسفة والحساب، ولكن حدثت حوادث سياسية عرقلت مساعيها فتحولت ملجأً للفقراء. ثم كرَّت الأعوام وتوالت الإدارات الصالحة التي تولت الإحكام؛ فبُذل المجهود في تحسين حال هذه المدرسة. ولكن كان يتعذَّر الوصول إلى نتيجة مُرضية لاختلاط الفقراء الجاهلين فيها ببعض الشبان الذين يتيسَّر تعليمهم.

وفي سنة ١٩٠٨ صدر أمر ملكي بتحسين حال هذه الدار؛ فشُيِّد قسم خُصَّ بالعميان الممكن تعليمهم، وأُحضرت لهم الأدوات اللازمة للتدريس، وفُصل الطاعنون في السن غير الصالحين للتعليم عن القسم الأول في بناء آخر منها.

أما عدد العميان الموجودين في هذه الدار فهو مائتان وكلُّهم ذكور:

منهم: ١٤٠ بين الخامسة والعشرين والخمسين.

ومنهم: ٦٠ بين العاشرة والخامسة عشرة.

ومن العدد الأول ٦٠ موسيقيًّا بين أيديهم مائة قطعة موسيقية على طريقة برايل، تأليف أشهر الموسيقيين كواجنر وهايدين وأوبر وفردي وبوشيني وماسكاني وروسيني وغيرهم. وهي أعظم جوقة موسيقية للعميان في الدنيا، وقد نالت أوسمة الافتخار في مؤتمرات عديدة.

وقد يُدعى موسيقيو هذه المدرسة إلى حفلات نابولي الرسمية وغيرها من بلدان إيطاليا اعتمادًا على مهارتهم الحقيقية في هذا الفن، ومساعدة لهم من جهة أخرى بأجور يُعطى ثلثاها لهم والثلث الأخير للمدرسة ولا تحفظه لنفسها بل تحسمه من أصل إنفاقها عليهم.

وما عدا هؤلاء الستين موسيقيًّا، ثلاثون آخرون يصنعون السلال والبرشِّ والسجوف، والخمسون الباقون طاعنون في السن ولا يعملون شيئًا بل يأوون إلى تلك الدار فقط.

أما العميان الستون الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة، وهم الذين قُبِلوا منذ سنة ١٩٠٨ بعد تحوير نظام المدرسة، فيُعلَّمون كل العلوم الابتدائية والموسيقى والصنائع اليدوية ولهم أساتذة مُبصرون وعميان.

ولكن هذه المدرسة مختصَّة بتدريس الموسيقى فهي تُعنى كثيرًا بهذا الفن، وتُوجب على أولئك التلاميذ الصغار درس البيانو على طريقة برايل على سبيل التمرين، ثم يختارون الآلات بعد ذلك؛ فإما الأرغن وإما آلات أخرى هوائية أو وترية، وفيها لتدريس فن الموسيقى ١٢ معلمًا مبصرًا و١٤ معيدًا أعمى، ومديرهم جميعًا أستاذ موسيقي هو رئيس الموسيقيين لبلدية نابولي.

أما الأشغال اليدوية فتُعلَّم مرتين فقط في الأسبوع، وتعليم أصول الدين إجباري للصغار واختياري للكبار، وكذلك يتعلم العميان الرياضة البدنية. ويعود التلاميذ طبيبٌ لمعالجة المرضى، ورمديٌّ لمقاومة الرمد الحبيبي.

وقد وجدنا في هذه المدرسة خرائط تقويم البلدان للعميان قديمة ينتهي عهدها إلى سنة ١٨١٨ وهي محفوظة أثرًا عزيزًا في غرفة المدير.

والتلاميذ حسنو الهندام، ومأكلهم نظيف، والحُجر التي ينامون فيها صحية مع أن الدار قديمة أُصلحت أخيرًا، وخلاصة القول أننا فرغنا من الزيارة وخرجنا من المدرسة

شاكرين حفاوة مديرها معجبين بحذق تلاميذها لفن الموسيقى. ولا عجب فاعتناء المدرسة كلُّه منصرف إلى إتقان هذا الفن، وشهادات المقامات الرسمية والأوسمة الكثيرة الموجودة على جدران غرفة المدير وغيرها والصادرة من بلدان عديدة تبرهن على أن المدرسة نالت شهرتها عن جدارة واستحقاق.

(٧) نظرة إجمالية في بقية مدارس العميان بإيطاليا

قلنا في الفصل الأول من هذا الكتاب إننا سنذكر أمهات مدارس العميان التي زرناها. ونعتقد أن القارئ الكريم اكتفى بما ذكرناه آنفًا فلا نطيل الشرح بعدما وصفنا مدرسة نابولي في وصف غيرها من مدارس إيطاليا. على أننا وإن قصدنا رومة Rome وزرنا مدرستها، كان غرضنا على الأخص مقابلة الأستاذ نوشللر Prof. Neuschuller أستاذ الرمد في كلية رومة الطبية، والشهير في إيطاليا بعنايته في أمور العميان اشتهار موريس دي لا سيزران في فرنسا والسير فرنسيس كامبل في إنكلترا؛ لذلك رغبنا في مقابلته فأفادنا معلومات جمة، وحبانا بكُتب توصية إلى مديري أهم مدارس العميان في إيطاليا.

أما مدرسة رومة فهي صغيرة من حيث إنها في عاصمة إيطاليا، وقد رافقنا في زيارتنا إياها أعمى اسمه المسيو أرفاتي يرتزق بصنعة التمسيد ولا بأس بحالته، فرأَينا فيها ٣٠ أَعمى و٣٥ عمياء فقط، يُعلَّمون العلوم والموسيقى وقليلًا من الحِرف. ورأس مال المدرسة ٤٠ ألف جنيه يكفي دخْلها لحاجيات التلاميذ.

ثم مدرسة فلورانسا Florence، وقد أُسِّست سنة ١٨٧٠. وهي أَنظف دور العميان التليان وأَتمها نظامًا، وفيها ٥٠ تلميذًا (٣٠ أعمى و٢٠ عمياء). وغرضها تعليم الصنائع اليدوية على الخصوص كمدرسة برايل ومدرسة ليزرهيد، غير أنها تُعلِّم الموسيقى والعلوم والآداب أيضًا. ومديرها محامٍ هو الكافلير أنجلو تروزي Cav. Angelo Terosi تكرَّم بمرافقتنا إلى جميع أقسام المدرسة. ورأس مالها مليون ونصف مليون من الفرنكات وهي هبات وأملاك تبرع بها المحسنون ويبلغ دخلها ثلاثة آلاف جنيه سنويًّا.

ومدرسة بولونيا Bologne وفيها ٤٥ تلميذًا منهم ٢٥ أعمى و٢٠ عمياء. وهي خصيصة بالتعليم العلمي والعلوم العالية، وقد تخرَّج فيها أعميان شهيران: أحدهما الأستاذ رومانيولي Romagnoli مدرس الفلسفة في مدرسة ماسا للمبصرين، والآخر تونيولي Tugnoli أستاذ الأدبيات في جامعة ميلانو.

ومدرسة ميلانو Milan وهي أكبر معاهد العميان في إيطاليا. لقينا وكيلها Sac. Giovanni Gando، وهو راهب كسائر أساتذتها، فصحبناه إلى قاعة الاحتفالات. وكانت غاصة بنحو ألف نفس جاءوا لسماع العميان الموسيقيين؛ لأن هذه المدرسة تعتني بتعليم فن الموسيقى اعتناءً تامًّا وتخريج أساتذة فيه فكأنها المعهد الوطني في باريس ودار العلوم والموسيقى في لندره، وقد أُسست سنة ١٨٤٠، وتبلغ مساحتها ١٥ ألف متر مربع قامت الأبنية فيها على ٦٠٠٠ متر، وهي تأوي الآن ١٦٠ أعمى منهم ٩٠ ذكرًا و٣٠ عمياء، وبجوارها ملجأ فيه ٤٠ أعمى، ومصنع فيه ٤٠ أعمى أيضًا، وملجأ لصغار العميان الذين يتراوح سنهم من ٣ إلى ٥ سنوات وفيه ١٥ منهم، فجملة عدد العميان في هذه الدار ٢٦٥ شخصًا. ويقدَّر رأس مالها بخمسة ملايين من الفرنكات؛ أي بمائتي ألف جنيه.

ودار العميان في جنوى Gênes مؤلفة من قسمين: أحدهما مدرسة فيها ٥٠ أعمى ذكورًا وإناثًا، والآخر ملجأ وفيه ٦٠ أعمى وعمياء، وقد جمع مديرها شذورًا كثيرة عن عميان المعمورة وعميان مصر، وأرانا كتابًا من الآستانة العلية يُستفاد منه أنه لم يؤسس في تركيا إلا مدرسة واحدة للعميان والصم البكم سنة ١٨٩٠؛ شيَّدها في الآستانة دي جراتي أفندي ولكن لم يطُل عهدها.

وهناك غير ما ذكرناه مدارس زرناها لكنها شبيهة بالمدارس التي تكلمنا عنها.

وخلاصة القول: إن مدارس العميان في أوروبا عديدة؛ وأن منها ما اختص بتدريس العلوم العالية والموسيقى، ومنها ما اختص بتعليم العميان حرفة أو صناعة يدوية.

(٨) مدارس العميان في القطر المصري

قبل سفرنا إلى أوروبا لم نرَ بدًّا من زيارة معهدي العميان اللذين في القُطر المصري، وأحدهما كما مرَّ في الزيتون، والثاني في الإسكندرية، فقصدناهما زائرين وقابلنا مديريهما ووقفنا منهما على المعلومات الآتية المدونة في التقرير السنوي لأعمالهما في سنة ١٩١٠. ونرى في ذكرهما فائدة؛ فربما يجهل كثيرون من سكان القطر أن فيه هذين المعهدين.

(٨-١) دار مؤاساة العميان بالزيتون

INSTITUTION FOR THE BLIND at Zeitoune “Near Cairo”

أُنشئت هذه الدار سنة ١٩٠١ بفضل سخاء المرحومة عقيلة الدكتور أرميتاج Mrs. Armitage من لندن، واستمرَّ نجلها وكريمتها ينفقان عليها في سنيها الأولى.

ولما انقضت مدة هذا الترتيب صارت الدار في «أكتوبر سنة ١٩٠٥» إلى إدارة لجنة نيابية في القاهرة يرأسها المستر آرثر ألبان قنصل بريطانيا العظمى. أما أعضاء هذه اللجنة الحالية فهم:

أصحاب السعادة والعزة	وحضرات الوجهاء
إسماعيل باشا سري	المستر بير كروفت
إدريس بك راغب	المستر برونتون
الفريق إبراهيم باشا فتحي	المستر هاريسون
محمد باشا أنيس	المستر كنجسفورد
هراري باشا	الدكتور موريسون
إسكندر باشا فهمي	المسيو رولو
جرجس بك حنين	ومدير المدرسة: المستر جاردنر

وهذه الدار التي ليست لها صبغة دينية مطلقًا قد حصلت على مساعدة ثمينة جدًّا من انعطاف سمو مولانا الخديوي المعظم وجناب اللورد كرومر واهتمامهما بأحوالها. واعترفت بفائدتها الحكومة المصرية ومصلحة الأوقاف الإسلامية وبطريركية الأقباط الأرثوذكس، فرضيت كلٌّ منها بمنحها إعانة سنوية.

ويُربَّى في هذه الدار العميان من الصبيان على أي دين كانوا ويُعلَّمون؛ وتشمل الدروس تعليم القراءة والكتابة والنحو والحساب والجغرافيا والتاريخ (وكل هذه الدروس تُلقى باللغة العربية)، وتُعلَّم اللغة الإنكليزية ابتغاء تمرين العقول من جهة، ولاعتقاد أن معرفة هذه اللغة نافعة للصبيان، وتشتمل دروس الإنكليزية القراءة والكتابة والمحادثة. ويُعلَّم المسلمون قراءة القرآن ويلقنون أيضًا قواعد دينهم، وكذلك الأقباط تُلقى عليهم دروس دينية ويُعلَّمون الترنم بصلاة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

ولما كان الغرض من إنشاء هذه الدار تعليم التلاميذ ما يمكِّنهم من الحصول على ما تيسَّر للقيام بمعاشهم، فهي تبادر بعد دخولهم إلى تعليمهم حشو الكراسي بالخيزران، وقد تبيَّن أنهم يكونون أصنع أيديًا وأسرع عملًا كلما بودر بالشروع في تعليمهم هذه الصناعة. إذن فصناعة حشو الكراسي وسيلة موصلة إلى مقصد، كما أنها هي مقصد في

ذاتها فهي تُعلِّم التلاميذ المواظبة والمثابرة وتحملهم في بدء الأمر على الاعتقاد بأن الغرض من تعليمهم في هذه الدار جعلهم قادرين على التكسُّب.

والحِرف التي تُعلَّم الآن (ما عدا حشو الكراسي بالخيزران) هي صُنع السلال والكراسي والبرشِّ من جميع الأنواع.

وتُصدر هذه الدار أيضًا كُتبًا بحروف برايل مطبوعة بالآلات، وهي لهذا العهد الدار الوحيدة التي تُصدر مثل هذه الكُتب للعميان المتكلمين بالعربية في مصر، وقد أرسلت عددًا منها في العام الماضي إلى جهات عديدة في القُطر المصري وإلى بيروت ودمشق.

أما عدد التلاميذ فهو أربعون منهم ٣٥ مسلمًا و٥ أقباط وأجانب، وأغلبهم داخليون.

وقد بلغ دخْل المدرسة في سنة ١٩١٠ نحو ١٨٠٠ جنيه منها ٥٠٠ من الحكومة المصرية، و١٠٠ من الأوقاف الخيرية الإسلامية، و٢٥ من أوقاف الأقباط الأرثوذكس، والباقي دخل حفلات وليلالٍ خيرية، ومنها حفلة أقيمت في سان ستيفانو برمل الإسكندرية تحت رعاية صاحب العطوفة محمد باشا سعيد رئيس مجلس النظار، ووقفيات واشتراكات.

أما النفقات فبلغت نحو ١٥٠٠ جنيه مصري.

(٨-٢) مدرسة العميان الصناعية في الإسكندرية

INDUSTRIAL SCHOOL FOR THE BLIND Alexandria

أسَّس هذه المدرسة سنة ١٨٩٨ الكونت والكونتيسة أوف ميث Earl and Countess of Meath. وهي المدرسة الوحيدة للعميان في الإسكندرية. زرناها في أوائل يونيو الماضي، وعلمنا من ناظرها المستر تونج أن فيها الآن اثني عشر أعمًى فقط. يدير شئونها لجنة مؤلفة من عشرة أعيان أجانب، يرأَسهم المستر كامرون قنصل جنرال بريطانيا العظمى في الإسكندرية، ويعالج عميانها طبيبان مجانًا عند الحاجة.

وهذه المدرسة على أنها لا تزال صغيرة ما برحت تتقدم ويتسع نطاقها شيئًا فشيئًا، فقد كان يقيم تلاميذها بادئ بدئ في مسكن صغير بالأجرة أما الآن فهم في دار غير صغيرة وهي ملك للمدرسة. وأما التعليم فيها فأدبي وصناعي، يتضمن الأول القراءة والكتابة على طريقة برايل، ويراد بالتعليم الصناعي حشو الكراسي بالخيزران وصنع السلال من جميع الأنواع والأشكال. ومصنوعات عميان هذه المدرسة متقنة وتُباع بأسعار

متهاودة، وقد نالت جائزة في المعرض الزراعي الذي أُقيم سنة ١٩٠٧ فكانت برهانًا على جودة العمل.

وتقبل التلاميذ من أَي دين أو جنس دون فرق؛ فلا تتعرض المدرسة لأحد في عقيدته بل تبقى له الحرية التامة في تأدية فروضه الدينية.

وقد بلغ دخلها سنة ١٩١٠: ٦٠٠ جنيه مصري، وتبرعت لها الحكومة المصرية بمبلغ مائتي جنيه سنويًّا منذ أول سنة ١٩١١، وكذلك اختصَّها مجلس بلدية الإسكندرية بإعانة سنوية قدرها ٤٠ جنيهًا مصريًّا. أما نفقاتها فقد بلغت سنة ١٩١٠: ٥٨٠ جنيهًا مصريًّا.

الفصل الثالث

تربية العميان

يجدُر بنا بعدما وصفنا معاهد العميان في أوروبا أن نُلقي نظرة عامة على طرق التربية التي تُنتهج فيها حتى يُرجع إليها إذا رغبنا في تحدي الغربيين الذين سبقونا في هذا المضمار وسهَّلوا لنا العمل. وتتميمًا للفائدة نقسِّم هذا الفصل إلى أربعة أقسام:

(١) التربية الأدبية.
(٢) التربية العقلية.
(٣) التربية الفنية.
(٤) التربية البدنية الجسدية.

(١) التربية الأدبية

ينظر كثيرون إلى الأعمى بعين الحذر والخوف ويعدُّون عاهته حاجزًا دون فلاحه. وأغلب الاختصاصيين بأمور العميان وقعوا في هذا الخطأ، ولقَّنوهم تربية أخلاقية لا تتفق مع استعدادهم الفطري وحاجتهم المادية في هذه الحياة. نحن لا ننكر أن النظر إلى الأعمى يُوجب الشفقة والحنان، وأن هنالك فرقًا واضحًا بينه وبين المبصر من حيث القوى الرئيسية كالجرأة والإقدام. ولكن يجمُل بالقائمين بتحسين حالة العميان أن يتجاهلوا عاهتهم الطبيعية عندما يراد تربية أخلاقهم وطباعهم. ويجدُر بالمعلمين أيضًا أن يكونوا متَّقِدين غيرة وحمية على ترقية شئون هذه الفئة البائسة. وأجمل صفات ينبغي الاجتهاد في تحلية الأعمى بها هي: حُسن السلوك ورقَّة الإحساس، وقوة الاستنباط والتروِّي والاعتماد على النفس، والثقة بالله في كلِّ الأمور.

(١) أما حسن السلوك ورقَّة الإحساس فهما في أعلى منزلة من الأهمية؛ لأن الأعمى مهما نبغ وتفنن في حرفته لا يجاري المبصر عند ولوجه معترك الحياة إلا فيما ندُر، ولا تكون معاملة الناس له إلا ممزوجة بروح الإحسان والشفقة، فإن لم يكن قادرًا بحسن سلوكه ورقة شعوره على استعطاف الناس واستمالة قلوبهم إليه في معاملته إياهم أعرضوا عن مساعدته، وطرقوا باب مَن يقوم مقامه في صناعته من المبصرين.

(٢) إن عاهة الأعمى تُبطئ حركته وتجعله ضعيف القلب واهن العزيمة تلقاء ما يكتنفه من الصعوبات في سبيل الارتزاق؛ ولذا يجب تقوية قوة الاستنباط عنده، وحثه على استخدام حواسه الباقية كالسمع والشم واللمس، وتعويده على شحذ الفكر وبُعد النظر، ليفتح له كل ذلك منهجًا يسلكه في سبيله الحالك ويجعله في منعة من السقوط واليأس.

(٣) ومن جهة أخرى فليست عواطف الناس ومقدار شعورهم سواءً؛ إذ إن أغلبهم لا يساعدون أحدًا إن لم يجدوا منه فائدة محسوسة، فيجب تقوية الإرادة في نفس الأعمى؛ كي يتمكن من الاعتماد على نفسه بإجادة صناعته وجعل الناس تُقبل عليها من تلقاء أنفسهم.

(٤) وهنالك أيضًا أمر جدير بالاعتبار هو أن أكثر معاهد العميان في وقتنا الحاضر يديرها أساتذة مدنيون وقد نبذ أكثرها الفكرة الدينية من لائحة تعاليمها. لكن من ينظر إلى حالة الأعمى النفسانية يرى أن الثقة بالله والاعتقاد الديني هما أكبر مشجع ومعزٍّ له على تحمُّل مصيبته بصبر وشجاعة؛ لأن الإلحاد يُثبط عزيمته ويجعله يائسًا في أيام المحنة والشدة. ومعلوم أن المبصرين أنفسهم يرفعون أبصارهم وقلوبهم إلى السماء ساعة الشدة والضنك، فأَحْرى بالأعمى التشبُّث بمبدأ ديني والتطلع ببصيرته إلى وجه ربه ذي الجلال فيتعزَّى شيئًا ويلقى صروف دهره بثغر باسم وصدر رحب ونفس مطمئنة.

(٢) التربية العقلية

يجب أن تُعتبر التربية العلمية العقلية بمنزلة وسيلة لتحسين حالة الأعمى لا مقصد ذاتي يُراد به بلوغ درجة العالمية. والسبب أن أكثر العميان في حال من الفقر تحوجهم إلى السعي وراء أرزاقهم وإعالة ذويهم؛ لذلك رأى الاختصاصيون أن التعليم العقلي لهم يجب أن يكون وسيلة لتثقيف إدراكهم، وهي تمهِّد لهم خصوصًا سبل التعليم الصناعي الذي تدور عليه رحى احتياجاتهم الاجتماعية؛ وهو أفيد لهم وأولى بهم لأن المجتمع الإنساني غير مفتقر إلى علم الأعمى في حد ذاته. ولو ارتفع بعضهم بعلمه إلى أسمى المقامات

كالمستر فوست؛ وهو أعمى إنكليزي كان نائبًا في البرلمان وتولى نظارة البوستة والتلغراف في إنكلترا Mr. Fawcet, General Postmaster of British Kingdom، والسير فرنسيس كامبل، والمسيو موريس دي لا سيزران، والقويسني والمرصفي من علمائنا، وغيرهم من العهد الحديث، أو كأبي العلاء المعري، والأعشى، وأبي بشر، وعلي بن أحمد المشهور بزين الدين الآمدي، وغيرهم من الشعراء والفلاسفة والأطباء والعلماء العميان المتقدمين الذين ذكرهم سعادة العالِم المحقق أحمد باشا زكي نقلًا عن «نَكْت الهِمْيان في نُكَت العُمْيان» للصفدي، فكل هؤلاء عدد يسير لا ينبغي اتخاذه قاعدة أساسية يقاس عليها معظم العميان.

وليس غرضنا من هذا المطلب تثبيط الهمم وإيهان العزائم، وإنما يجب على من تُناط بهم مصلحة العميان أن يُشجِّعوا من مُنح منهم مواهب راقية على سعيه ونشاطه في سبيل العلم.

ومع ذلك يجب أن تكون التربية العلمية على الخصوص عمليةً محضة؛ لأن مواهب الأعمى محصورة في سمعه ولمسه وشمه، ولا بدَّ له من تطبيق كل ما يدرسه أو يلقنه عملًا بواسطة هذه الحواس. ومن أهم وسائل التطبيقات العملية إقامة المتاحف في المدارس وجعلها حافلةً بالمواد الحسية لتمرينهم بها على ما تعلَّموه عقلًا.

(٣) التربية الفنية

النظر أفضل حاسة تساعد العامل على إتقان صناعته ومعرفتها بدقائقها، غير أن الأعمى لسوء حظه لا يتمكن من درس الصنائع كما هي إلا إذا تلقَّى العلم على أساتذة غيورين صبورين، ينظرون إلى عاهته بعين الرأفة والحنان، ولا يقنطون إذا رأوه في بادئ الأمر لا يستفيد من دروسهم؛ لذلك يجب على مديري مدارس العميان اختبار مَن يُعلِّمون العميان الحرَف ممن توفَّرت فيهم صفات الصبر والغيرة، وسرت في عروقهم حرارة الحمية والحنان والانعطاف، ومراقبتهم كي لا يستخدموهم في حاجاتهم الشخصية. ويجب من وجه آخر تنبيه من يهمهم تعليم العميان إلى أمرين: أولهما كيفية اختيار الحرفة للأعمى، وثانيهما ضرورة تعليمه حرفًا متنوعة، فقد عُلِم بالاختبار أن لا بدَّ من مراقبة أميال الأعمى في اختيار حرفة يلقنها لإتقانها بالتفرغ لها ثم تعليمه حرفًا أو حرفة واحدة. وهذا الأمر يختلف باختلاف المدن والقرى، فالمقيم في المدن تكفيه صناعة واحدة؛ لكثرة السكان ووفور المطالب التي يمكن توزيعها على عميان كثيرين، وأما من يريد التعيُّشَ

بين ظهراني أهل القرى والأرياف فلا غنى له عن مزاولة حرف عديدة لضيق الدائرة التي يقيم فيها، وقلة عدد السكان وتنوع مطالبهم.

(٤) التربية البدنية

قال جان جاك روسو في تأليفه «إميل» ما معناه: «إنما يكون العقل الراجح في الجسم السليم القوي، والعقل الضعيف والإرادة الواهية في الجسم العليل السقيم.» ومغزى هذه النظرية أن لا بد من تقوية أعصاب الأعمى وعضلاته لتساعد عقله على العمل المفيد؛ لأن ضعيف الجسم يكون واهي العزيمة غير قادر على الدرس أو المثابرة على العمل الشاق، وخير الوسائل التي تنمي الأجسام الألعاب والرياضة البدنية والذهاب إلى الحقول والتجول في الفلوات، غير أني سمعت أكثر مديري المدارس يشكون بحق من عدم اهتمام العميان أنفسهم بالألعاب الرياضية، ولا عجب من ذلك فالأعمى تحمله عاهته على الخوف من الحركة فلا يُقدم عليها. وتلافيًا لهذه العلة قد استنبط السير فرنسيس كامبل ألعابًا مخصوصة بالعميان منها وضعه في الكرة جرسًا يُنبئ باقترابها منعًا للخوف من صدمتها. وفيما عدا ذلك يشير كثيرون من المديرين بإدخال بعض المبصرين في زمر العميان اللاعبين لتجرئتهم على النشاط والإقدام. هذا ونحن نرى المبصر نفسه يحتاج إلى التربية البدنية لتقوية مواهبه العقلية، فما بالك بالبائس الذي تعوَّد السكون والظلمة الدامسة! إنه ولا شك أحوج إليها.

هذه هي الطرق المتبعة في أوروبا لتثقيف العميان وتربيتهم تربية صحيحة تمكِّنهم من المحافظة على مركزهم الاجتماعي، وتساعدهم على كسب أرزاقهم بأنفسهم دون أن يلجئوا إلى التسوُّل الذميم الضارب أطنابه بين ظهرانينا.

وسندرس في الفصل الرابع التالي كيفية مساعدة العميان للحصول على تلك التربية.

الفصل الرابع

مساعدة العميان

تقلَّبت مساعدة العميان على أطوار شتى، واختلفت بانقلاب الدول والممالك، وتغيَّرت تبعًا لأحوال الزمان والمكان وأميال البشر ودرجات عقولهم. أما في العصور الوثنية إذ كانت الحروب قائمة على قدم وساق، والعضو العامل فيها أو الجنديُّ كلٌّ قادر على حمل السلاح، فقد كان يُعتبر الأعمى عضوًا أشلَّ ويُمحى اسمه من سجل الأحياء، هذا إذا لم نَقُل: إنه كان يُعدم في غالب الأحيان. ثم جاء الأنبياء وأوصوا في كُتبهم المقدسة بإزالة العثرات من سبيل العميان، وأمروا بالإحسان إليهم.[1] ولما ظهر الإسلام تشدَّدت عزائم العميان وخفف عنهم الناس وطأَتهم وسوء معاملتهم لما عاتب الله به نبيه محمدًا ﷺ على إعراضه عن ابن مكتوم وحثه على الالتفات إليه وإمكان هدايته أكثر من البصير. حيث قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، فهذه الآية أعظم دليل على العناية والرفق بالعميان أولًا، وإمكان الانتفاع بهم ثانيًا، ورجاء الخير منهم لأنفسهم ثالثًا. ولا يسعنا هنا إلا إلفات نظر القارئ إلى كتاب «نكت الهميان في نكت العميان» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الذي أبرزه من مكاتب القسطنطينية سعادة العالِم المحقق أحمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار. وهو — كما كتب سعادته في مقدمته — الكتاب الناطق بنفسه بما كان لأهل الإسلام وملوكهم الكرام من الأيادي البيضاء في تحسين حال العميان.

---

[1] سفر اللاويين ١٤ Le Lévitique XIV.

غير أن هؤلاء استمرُّوا رغمًا عن الحث والتنبيه على العناية بهم عالة على المجتمع البشري. وكثيرون منهم كانوا يتخذون إضحاك الناس وسيلة للارتزاق وقلوبهم مملوءة حسرة وأسى، ولسان حالهم يقول:

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طربًا فالطير يرقص أَحيانًا من الألم

وأول من ساعد العميان مساعدة حقيقية فلمَّ شعثهم وجبر كسرهم لويس التاسع ملك فرنسا. إذ أنشأَ سنة ١٢٦٠ ميلادية في مدينة باريس معهد الكنزفين Les Quinze-Vingt وآوى إليه ٣٠٠ أعمى، وسيأتي الكلام عنه. أما المساعدة المبنية على التعليم والعمل فما ظهر عصرها الجديد، ولا ارتفع شأنها المجيد، إلا بمساعي فالانتين هواي في القرن الثامن عشر، وقد مرَّ ذكره. ثم سرت فكرة تعليم العميان والاهتمام بأمورهم من أوروبا إلى أميركا الشمالية وسائر البلدان حتى أصبحت موضوع اهتمام الجميع بفضل مساعي أهل النخوة والمروءة، وقد انتشرت في زماننا الحاضر مدارس العميان وملاجئهم ومصانعهم تضم تحت أجنحتها آلافًا منهم وتهذِّبُهم وتثقِّف عقولهم. وتنقسم المساعدة المتبعة اليوم لتحسين حالتهم إلى أربعة أقسام:

(١) جمعيات الكفالة Sociétés de patronage.
(٢) المدارس.
(٣) المصانع.
(٤) الملاجئ.

(١) جمعيات الكفالة

هذه الجمعيات عديدة الأنواع يضيق بنا المقام لو أفضنا في ذكر كلِّ واحدة منها فاكتفينا بذكر أهمها، وهي:

(١-١) جمعية فالانتين هواي لتحسين حال العميان في باريس

ASSOCIATION VALENTIN HAUY Pour le bien des Aveugles à Paris

وقد اخترناها دون غيرها لسببين رئيسين؛ أولهما: أن مؤسسها هو الأعمى الذائع الصيت في عالم العميان، الدائب في خدمتهم، الساعي في كل ما يئول إلى خيرهم، صاحب

المؤلفات العديدة التي يرجع إليها كلُّ باحث في مسائل العميان؛ نعني به المسيو موريس دي لا سيزران Maurice de la Sizeranne، وقد اختاره المؤتمر المصري وعيَّنه عضو شرف فيه على أنه لم يحضره، وذلك إقرارًا بفضله على عميان المعمورة فلم يكن بدٌّ من الرجوع إليه في مثل هذه الشئون. وثانيهما: أن النظام السائد على هذه الجمعية والفوائد الجلية التي تُجنى منها لم يختص بها عميان فرنسا فقط بل عميان الدنيا قاطبةً، فكانت نموذجًا نسجت على منواله الجمعيات الأخرى في نظامها الأساسي وإن حُوِّرت في بعض أمور طبقًا لعادات البلاد التي تؤسس فيها.

غرض الجمعية

لُقِّبت هذه الجمعية باسم فالانتين هواي تخليدًا لذكره. وغرضها درس كل الطرق الآئلة إلى تعليم وتحسين حال العميان من الوِجهتين الأدبية والمادية وتعميمها وبثها. وللوصول إلى هذا القصد النبيل لا تألو جهدًا في استمالة الرأي العام، تارةً باستنهاض من يهمهم أمر العميان، وطورًا بتعضيد الأعمال الخيرية المؤدية إلى نفعهم، وآخِرًا بإرشاد من تهزهم النخوة الإنسانية وتُميلهم إلى هؤلاء المعوزين فتهديهم إلى الطرق الحسنة لإعانتهم.

وللجمعية مركز عام في باريس في شارع الإنفاليد جمعت فيه سنة ١٩٠٧ شتات أعمالها المتنوعة بعدما كانت متفرقة لهذا التاريخ. قصدنا زيارته، وطلبنا إلى المسيو دي لا سيزران السكرتير العام أن يضرب موعدًا لمقابلتنا فتكرَّم بتعيين بعد ظهر يومٍ للتفرغ لنا خاصةً يوم الزيارة.

وقد كان ذلك، فتشرَّفنا بلقاء رجل الفضل المشار إليه وهو يناهز الأربعين وعليه سمات الهيبة والوقار، تراه يتَّقد حمية عند التكلم عن العميان، فقادنا بنفسه — ونحن نقوده — إلى أقسام المحل كافة، وهي: السكرتارية، وقسم المخابرات المختصة بالعميان، وقسم تحرير المجلات التي تبحث في شئونهم؛ ومنها ما هو بالحروف العادية للمبصرين، ومنها ما هو على طريقة برايل. وكتبخانة توزع كُتبها على سبيل العارية للعميان، وقد أسلف منها ٤٥ ألف كتاب في السنة الماضية. ومتحف جمع ما أمكن جمعه من أعمال واختراعات المشهورين منهم، ومخزن لبيع مصنوعاتهم، ومحل للأوراق القديمة تُعمل منها أكياس تُباع لصغار التجار بأثمان زهيدة، ومستودع للثياب والأثاث المنزلي مما يتبرَّع به المتبرعون لتوزيعه على فقراء العميان. وهناك أيضًا محلٌّ للاستشارات الطبية والقانونية المجانية، وغير ذلك من الأمور النافعة للعميان.

دامت زيارتنا في هذه الأقسام ساعة من الزمن سرد لنا بعدها المسيو دي لا سيزران معلومات لا غنى من ذكرها بالإيجاز.

نظام الجمعية

تستعين الجمعية أولًا بأعضاء عاملين يخصصون جزءًا من أوقاتهم لإنجاز حركة المراسلات الصادرة والواردة في مصلحة العميان ويبلغ عددها نحو ٢٠٠٠٠ سنويًّا.

ثانيًا: بمجلس إدارة نصفه مؤلف من أعضاء كفيفي البصر؛ ولهذا المجلس ثلاث لجان: الأولى للإدارة والسعي في توسيع نطاق الجمعية، والثانية لنشر أعمالها، والثالثة لاتخاذ الوسائط الناجعة في تحسين حال العميان وللإحصائيات ومقاومة أسباب العمى.

ثالثًا: بلجنة مؤلفة من كرائم السيدات تستحث غيرة الجمهور على مساعدة الجمعية وجمع الدخل من السيدات.

وقد صادقت الحكومة الإفرنسية على قانون الجمعية وعدَّتها من المنافع العمومية فحُق لها قبول الوقفيات.

أما دخلها فقد بلغ في السنة الحالية عشرين ألف جنيه، وهو ريع الهبات والوقفيات ومجموع ما تحصَّل من أعضائها. وهم على أربعة أنواع:

الأعضاء المنتمون إليها: ويدفعون فرنكًا واحدًا في السنة.

الأعضاء الدائمون: ويدفعون ٢٥ فرنكًا دفعة واحدة.

الأعضاء الواهبون: وهم الذين يهبون مبلغًا فوق ٢٥ فرنكًا.

الأعضاء المحسنون: وهم الذين يهبون مبلغًا فوق ٥٠٠ فرنك.

وبلغت النفقات مثل المبلغ المتقدم ذكره، أي عشرين ألف جنيه، ولا حاجة إلى تفصيله هنا.

وللجمعية عدة فروع محلية في مدن عديدة من فرنسا ما عدا مركزها العام في باريس.

العناية المبذولة من الجمعية وأعمالها

العناية هي غير المساعدة البسيطة فهي الأداة الفعالة والمحور الذي يدور عليه عمل جمعية فالانتين هواي وهي تشمل كل كفيف البصر يلتجئ إليها، فقد بلغ عدد من

أسعفتهم ومنحتهم رعايتها ٨٠٠٠ أعمى لكلٍّ منهم سجل حاوٍ جميع الإيضاحات المتعلقة به؛ ولهذا الفرع Le Patronage لجنة مؤلفة من بعض أعضاء مجلس الإدارة ومعهم بعض السيدات، تجتمع كل شهر مرة للمداولة في الشئون العمومية؛ ولهذا الفرع أيضًا أربعة أقسام:

القسم الأول: مختص بالصبيان؛ أي إن لجنة تهتم بصغار العميان، فتنقذهم تارةً من أيدي والدين مجردين من عاطفة الحنان أو قوم يستخدمونهم لمآرب دنيئة، وطورًا تُدخلهم في مدارس ابتدائية فتمكِّنهم من الدخول في مدارس العميان. وتساعد كذلك أبناء فقراء العميان بإعطائهم الكُتب والأدوات الكتابية، وتضمن لهم تربية دينية أدبية صناعية، معتمدة على المجالس البلدية والإعانات الأهلية.

القسم الثاني: وهو مختص بالتلاميذ الذين تحت التمرين؛ أي إن الجمعية تسهِّل الطرق للعميان الراغبين في تعلُّم حرفة ومزاولتها، وتتوسَّط عند المجالس العمومية في تحصيل الإعانات اللازمة للقيام بالإنفاق عليهم.

القسم الثالث: مختص بالصنَّاع. لقد أدركت جمعية فالانتين هواي أن الصعوبة ليست في تعليم العميان حرفة للارتزاق، ولكن في تذليل العقبات وتسهيل الطرق التي تمكِّنهم من الانتفاع بحرفتهم، فهي لذلك لا تألو جهدًا في تدبير عمل لهم والتوسط لهم عند العملاء، وتزويدهم النصائح، وتشجيعهم في الأحوال الحرجة، وإمدادهم بالأدوات اللازمة لمعالجة صناعتهم.

القسم الرابع: مختص بالشيوخ والمقعدين العاجزين، فهؤلاء يزورهم أعضاء الجمعية ويسعفونهم بإعانات مادية كالخبز والفحم والثياب والأمتعة المنزلية، أو يضعونهم في ملاجئ على نفقة الجمعية.

وللجمعية فروع أُخر لا بأْس من ذكرها باختصار، منها:

مدرسة لكفيفات البصر المصابات بعاهات بدنية عقلية يمتنع بها قبولهنَّ في مدارس أو ملاجئ العميان، وأخرى لتعليم الدَّلك وفيها أستاذ ماهر في هذا الفن يلقِّنه العميان فيرتزقون منه. ومصنع للبرشِّ تشتغل فيه نساء طاعنات في السن لا يُقبلن في المدارس، وآخر لمن أُصيب بفقد البصر بعد سن الأربعين فيشتغل الأعمى فيه بصنع أكياس صغيرة من الأوراق القديمة التي تجمعها الجمعية من المصالح والدوائر دون مقابل. ومشغل

تجد فيه النساء اللواتي أُصِبن بالعمى ولا يمكنهن ترك عيالهن فيتعيَّشن بأشغال الزركشة والتسنين (التنتنة) والخياطة.

وهناك أيضًا صندوق الإيجارات وقد خُص بإسعاف فقراء العميان تُدفع منه أجور منازلهم. والمشتركون منهم بهذا الصندوق يستمدون به روح الاقتصاد؛ لأن الجمعية تردُّ إليهم كل ثلاثة شهور عشرة في المائة من مجموع ما يكونون قد دفعوه إلى الصندوق.

ونادٍ يجتمعون فيه فيجدون كُتبًا وجرائد وألعابًا يروضون بها عقولهم وأبدانهم.

وفي مركز الجمعية عالِم قانوني يشاوره العميان مجانًا في المسائل القضائية والفقهية إما بالكتابة وإما بالمخاطبة، وفيه كذلك طبيب يعالجهم ويعطيهم الأدوية مجانًا.

ومن أمعن النظر فيما ذُكِر يرى حقيقة أن جمعية فالانتين هواي لم تَدَعْ أمرًا كبيرًا أو صغيرًا فيه نفع للعميان إلا وأدخلته في أعمالها العديدة، فلا غرو إذا اشتهرت في العالم بإحسانها إلى فئة العميان، ولا عجب إذا قصدها الزوَّار والمستفيدون للاقتباس منها والسير على منوالها، وقد ودَّعنا المسيو دي لا سيزران ونحن نلهج بالثناء عليه مستغربين كيف تمكَّن وهو أعمى من القيام بهذه المبرات. ولكن هي النخوة والمروءة والعزيمة والهمة والإرادة من تحلَّى بها مكَّنته من تذليل المصاعب والمشقَّات، ونفع إخوانه في النوازل والملمَّات، فللإنسانية أن تفخر بذلك الرجل أكثر الله أمثاله في سائر الأقطار ووهب لنا مثله في قطرنا العزيز.

(٢) مدارس العميان

إن مدارس العميان لا تفي بالغرض المقصود منها إلا إذا توفَّرت فيها إدارة رشيدة، واشتملت على شروط أساسية تكفل لها البقاء، أما الإدارة فأهم ما يُطلب منها انتقاء أساتذة أكفاء جامعين بين الشفقة والحلم والعلم الصحيح بتربية العميان، ثم عليها ألا تفتأ مشرفة عليهم.

أما الشروط الأساسية لمدارس العميان فثلاثة؛ اقتصادية وفنية وصحية:

(١) الاقتصادية: لا حاجة بنا إلى بيان أن المال ضروري لإنشاء مدرسة العميان فهي كسائر المشاريع تحتاج إليه لشراء أرض وتشييد بناء عليها، والصعوبة إنما هي في تقدير النفقات السنوية اللازمة لحياة المدرسة، فهي تختلف باختلاف الأقطار والبلدان وعادات أهلها وغرض المدرسة وعدد تلاميذها إلى غير ذلك من الأمور والأوجه التي لا

يمكن التوسع فيها هنا. وعلى كلٍّ يسهُل تقدير النفقات بالتقريب على الشكل الآتي وعلى احتمال قبول ١٠٠ تلميذ:

جنيه مصري	عدد ونوع النفقة
٣٦٠	١ مدير
٥٤٠	٣ أساتذة للدروس العقلية
٢٨٨	٢ معلِّمان للموسيقى
٢٤٠	٢ معلمان للأشغال اليدوية
١٥٠	٢ ملاحِظتان
٢٥٠٠	نفقات سنوية على ١٠٠ تلميذ بمعدل ٢٥ جنيهًا على كلٍّ منهم
٤٠٧٨	المجموع

هذا إذا كانت المدرسة مجانية تمامًا كما هو الحال في مدرسة الزيتون حتى الآن. والأفضل في رأينا أن يكون في أية مدرسة قسم مجانيٍّ، وقسم مأجور للعميان الذين يقدر أهلهم على دفع أجور عنهم كما هو الحال في أغلب مدارس أوروبا.

(٢) الفنية: معظم المدارس في أوروبا تقبل العميان من الجنسين دون تفريق لكنها تجعل لكلٍّ من الذكور والإناث فرقة خاصة تؤلف من:

٦ قاعات للتدريس منفصل بعضها عن بعض.

٣ قاعات للنوم.

٢ قاعتين للأشغال اليدوية.

١ محل لتدريس الموسيقى.

ومطبخ وقاعتين للأكل وبستان للألعاب الرياضية.

ولا بد لكل مدرسة للعميان من تعليم الآداب والعلوم على طريقة برايل، فيجب إعداد مكتبة لهذا الغرض.

(٣) الصحية: أما ما يتعلق بالأمور الصحية في بناء المدرسة فيجب أن يراعى فيه عدد الطلبة دون النظر إلى عاهتهم، فتُنشأُ المدرسة فسيحة الأرجاء، معرَّضة للشمس والهواء، واقعة في مكان بعيد عن الحركة.

هذه هي الشروط اللازمة لتشييد مدارس العميان، ولم نتوسَّع فيها هنا لأنها تدعو إلى أبحاث طويلة دقيقة تبعدنا عن الغرض الذي نسعى إليه في كتابنا هذا.

(٣) مصانع العميان

ندرس في هذا القسم:

أولًا: تاريخ إنشاء مصانع العميان.

ثانيًا: الشروط الأساسية اللازمة لحياتها.

ثالثًا: إدارتها ونظامها والحرف التي تُعلَّم فيها.

(٣-١) تاريخ إنشاء المصانع

يرجع تاريخ إنشاء المصانع للعميان إلى القرن الثامن عشر لأن حكومة المواثقة La Convention سنة ١٧٩٥ حوَّلت المدرسة الوطنية التي أَسسها فالانتين هواي إلى مصنع، وجعلت رسم الدخول فيه ٥٠٠ فرنك بادئ بدء ثم خفضته إلى ٢٥٠ فرنكًا ثم جعلته مجانيًّا، فكانت تعطي كلَّ أعمى تخرَّج في هذا المصنع وبرع في حرفته مبلغًا من المال قدره ٣٠٠ فرنك على سبيل المكافأة، يستعين به على حاله عند خروجه من المصنع، وإذا فضَّل الإقامة فيه تُدفع له أجرة عمله. وفي سنة ١٨٤٣ أَسست «جمعية تشجيع صناع العميان» مصنعًا جاء بنتائج حسنة مدة سنوات عديدة.

(٣-٢) شروطها الأساسية

يجدُر بكل من يريد الشروع في إنشاء مصنع للعميان أن يُمعن النظر فيه قبل الإقدام عليه منعًا لحبوط المشروع بعد البداءة فيه إذ أول الفكر آخر العمل، فقد حبطت أعمال كثيرة وتلاشت مصانع عديدة بتسرُّع منشئيها في تشييدها قبل التدبر وإمعان النظر.

لا بدَّ أولًا من ملاحظة منطقة المصنع، فإن كانت مدينة حافلة بالسكان شُيِّد فيها كبيرًا وتعددت فيه أنواع الحرف، وإن كانت بلدة صغيرة أُعد فيها ما يلزمها حتى لا تزيد الحرَف عن مطالب البلدة التي يُنشأُ المصنع فيها.

ثم إن المصانع رغمًا عن كونها معاهد أُنشئت لحماية العميان من الفاقة وتعليمهم حرفة يرتزقون بها، هي أيضًا مشاريع اقتصادية فنية تتطلب أبحاثًا ودروسًا لا يستهان بها. ونحن لا ننكر أن في وسع كل مثرٍ إنشاء مصنع للعميان غير أن الغرض أن يقوم المصنع بحاجاته ويتكفل بشئونه ونفقاته ليعيش طويلًا. وعليه لا بد قبل تشييد البناء من درس حالة احتياج البلد لِما يراد صنعه في هذا المعمل، والنظر في الصنف المرغوب فيه وجعل العمل موقوفًا عليه، وانتقاء إدارة مسئولة ضليعة في فنها تبذل كل مرتخص وغالٍ في سبيل إنجاح المصنع وتنظر إلى الأمور من الوِجهة الفنية أيضًا؛ أي إنها تسعى لدى المعلمين والعمال في تحسين المصنوعات جهد الطاقة حتى تأمن على العميان مزاحمة المبصرين إياهم في العمل الذي يزاولونه.

وفضلًا عن هذا فلا بدَّ من ضمان راحتهم ومستقبلهم في المصنع الذي يشتغلون فيه. ولا غرو فقصَّاد المصانع إنما يكونون غالبًا فقراء فلا يسعهم الاقتصار على التعلم والتمرين والعمل بل يهمهم أمر معاشهم أيضًا؛ لذلك ترى المصانع الأوروبية كافة تدفع للعميان عندها أجورًا مدة تمرينهم لإمكان إعالتهم وسد احتياجاتهم. ولكل مصنع طريقة خاصة به.

فمن المصانع ما هو خارجي يعلِّم العامل ويدفع له أجرة عمله ولا يتكفَّل بنفقات طعامه ونومه. ومنها ما هو داخلي يقوم بنفقات العامل فتُقيَّد له أجرته ويُدفع ثلث منها لنفقات طعامه ونومه، ويسلَّم له الثلث الثاني لينفقه في حاجاته، ويُحفظ له الثلث الأخير في صندوق التوفير لينقده عند خروجه، وهذه الطريقة هي المثلى؛ لأن انتقال الأعمى صعب جدًّا ونفقاته كنفقات المبصر ولا تمكِّنه أجوره الضعيفة من سد عجز ميزانيته، وعليه فالمعيشة الداخلية في المصانع تلائم الأعمى ملائمة تامة؛ لأنها تقلل نفقاته وتُوليه سلوانًا يُنسيه عاهته بمباشرته قرناء مثله.

(٣-٣) إدارة المصانع ونظامها وأنواع الحرف التي تُعلَّم فيها

أشهر مصانع العمال العميان في أوروبا توجد في درسد «سكسونيا»، ومرسيليا «فرنسا»، وبرستول وجلاسكو وإدنبرج «إنكلترا»، وفيلادلفيا «أميركا»، وقد علمنا أن ساعات العمل فيها تسع، والأجرة اليومية تتراوح فيها بين ٥ و١٠ غروش صاغ، ومحادثة الأجانب مع العمال ممنوعة وكذلك البحث في الأمور السياسية والدينية. وفي كل المصانع عمال مبصرون خبراء في الحرفة التي تُعلَّم للعميان.

أما الصنائع فتختلف باختلاف البلدان والشائعة منها هي: عمل الكراسي، والسلال، والفُرش، والأقفاص، والمكانس، والأبسطة، والسجوف، والحبال، والجزم، وكراسي الجنائن، وأكاليل الخرز للموتى، وخرط الأخشاب، والتنجيد (الأفرشة والوسائد)، وتصليح البيانو، ولعب الأولاد، والأكياس، وأشغال الزركشة والتسنين للنساء.

وتختلف نفقات إنشاء المصانع باختلاف أحوال البلاد ونوع الحرف المراد تعليمها فيها واتساع المحال وعدد العمال، ولا مجال للبحث فيها هنا.

(٤) الملاجئ

لم يكتفِ الغربيون بتشييد المدارس والمصانع لإنارة بصائر العميان وتعليمهم حِرفًا في صغرهم وفي سن الشباب، ولا بتأسيس جمعيات الكفالة لحمايتهم ومعاونتهم بكل الطرق التي ذكرناها، بل فكَّروا أيضًا فيما يئول إليه أمرهم عند حلول الكبر وصعوبة الارتزاق إذ ذاك أو ترمل الكفيفات، فأنشئوا لهم دورًا أو ملاجئ تضم مئات منهم؛ فباتوا في مأْمن من التسول والموت جوعًا أو بردًا.

وقد اختلف الاختصاصيون بأمور العميان في مسأَلة الملاجئ وإنشائها لهم، ففريق منهم وأغلبهم ألمانيون يودُّون إنشاء كثير منها حتى تصبح كافية لجميع العميان عند الكبر في كل قُطر؛ ولذا ترى اليوم ٤٠ ملجأً في ألمانيا. وفريق زعيمهم الدكتور أرميتاج الإنكليزي (زوج مؤسسة مدرسة الزيتون) لا يرون توسيع نطاق الملاجئ للعمال بل يشيرون بجعلها خاصة بالنساء فقط وخصوصًا غير القادرات منهن على التكسب. والرأي الغالب وجوب الاعتدال في هذه المسأَلة كما يجب في سائر الأمور، فلا يُعتمد على قول القائلين بتعميم الملاجئ لجميع العميان ولا قول من يرفضها بتاتًا. بل يجب إنشاؤها لغير النبهاء من العميان وهم الذين لا عائل لهم ولا سند من ذوي قرباهم. كما أن الأفضل ترك النبهاء منهم أصحاب الإقدام وشأنهم لا سيما إن كان لهم من يساعدونهم عند الحاجة.

وأول ملجأ أُنشئ للعميان في العالم هو ملجأ الكنزفين Hospice National des Quinze-Vingt à Paris، أسَّسه في باريس سنة ١٢٦٠ ميلادية لويس التاسع ملك فرنسا لعميان عاصمة بلاده، وقد مرت الإشارة إليه ولا يزال حتى الآن. زرناه منذ عشر سنوات عند تردُّدنا على العيادة الرمدية الكبيرة التي أُلحقت به سنة ١٨٨٠ للتمرن على

أمراض العين، وهي شبيهة بعيادة قلاوون، يقصدها يوميًّا نحو ٤٠٠ مريض، يتولى معالجتهم أربعة أساتذة رمديين وعدد من المساعدين ومن تلاميذ الطب.

ولما كان هذا الملجأ أقدم الملاجئ عهدًا وأكملها نظامًا رأينا من قبيل الفائدة ذكر شذور عنه فربما نفعت عند تأْسيس ملجأ لعميان بلادنا.

والكنزفين مؤلفة من كلمتين معناهما ١٥ × ٢٠؛ أي إن في هذا الملجأ ٣٠٠ أعمى، وهو لا يوجد فيه أكثر من هذا العدد. وهو منذ سنة ١٧٨٠ تابع لنظارة الداخلية ولا يجري فيه أمر إلا بإشارتها، ولا يُقبل فيه أعمى إلا بإذنها.

وهو مؤلف من بناء عظيم ذي أربع طبقات تُشرف على ساحة كبيرة تظللها أشجار باسقة أُقيمت على ستة صفوف. ومما يستلفت نظر الزائر اكتساء نوافذ الغرف كلها بأحواض الزهور وأقفاص العصافير المغردة، ولا عجب فالأعمى طروب بزقزقة الأطيار شديد الارتياح إلى استنشاق شذا الأزهار مرضاة لحاستي السمع والشم.

وتجد في مكتب الإدارة آثارًا شتى قديمة العهد، ومنها أختام أكثر ملوك فرنسا، وأختام بعض باباوات وأساقفة، ذُيلت بها منشورات وأوامر عالية تُثبت الامتيازات الممنوحة لملجأ الكنزفين.

وله مدير ووكيل إدارة يقوم بأعمال السكرتيرية والدفترخانة، ولجنة استشارية مؤلفة من أربعة أعضاء يخدمون الملجأ مجانًا. وله كذلك جابٍ لتحصيل النقود، وخمس ملاحِظات، وقس، وطبيب، ومهندس، مرتباتهم من ميزانية الملجأ.

أما أهله فعميان من الجنسين وعلى نوعين، فمنهم خارجيون لا يقيمون في الملجأ وهم على ثلاثة أقسام: الأول يُدفع له سنويًّا ١٠٠ فرنك، والثاني ١٥٠، والثالث ٢٠٠، وداخليون من رجال ونساء وأولاد لهم ويبلغ عددهم ٣٠٠ منهم ١٨٠ أعزب أو عزباء والبقية متزوجون. وفي البناء قسم خاص بالأرامل. ولا يقبل الملجأ عميانًا مرضى البتة.

ولا يُقبل فيه إلا من استوفى الشروط الآتية، وهي: (١) أن يكون إفرنسي الجنس. (٢) بالغًا من العمر ٢١ سنة على الأقل. (٣) حاملًا شهادة عمى كلي مستحيل الشفاء. (٤) فقيرًا كل الفقر.

ورغمًا عن ذلك لا تقبل الإدارة أعمى قد استوفى تلك الشروط إلا بعد أن تتحقق حالته وحُسن سيرته.

ومخادع الأعمى تختلف أثاثًا؛ لأن الملجأ لا يعطي الأعزب إلا غرفة، والمتزوج صاحب العيلة غرفتين أو ثلاثًا، وهم يفرشونها، وإنما تُلاحظ الإدارة نظافة الغرف فقط.

ولكل أعمى مقيم في الملجأ كل يوم فرنك ونصف، وكان يُعطى أيضًا نصف أقة خبز لكن استُعيض عن ذلك بإعطائه ٢٠ سنتيمًا ويضاف عليها في الشتاء ١٠ سنتيمات لكل أعمى، وإذا كان متزوجًا فتعطى زوجته ٣٠ سنتيمًا كل يوم، فإن كانت الزوجة العمياء ورجلها المبصر فلا يعطى شيئًا إلا عند بلوغه الستين فيساعَد بثلاثين سنتيمًا كل يوم. وبنات العميان يبقين في الدار حتى السن الحادية والعشرين. أما الصبيان فيُعلَّمون منذ الصغر في المدارس الابتدائية وعند بلوغهم الرابعة عشرة تتكفل إدارة الملجأ بتعليمهم حرفة على نفقتها.

ويعطى كل امرأة وضعت ولدًا في الملجأ ٢٥ فرنكًا، وكذلك يوزع ألف فرنك في كل سنة على أكثر العميان احتياجًا لتدفئتهم من برد الشتاء. وإذا مرض أحد المقيمين في الملجأ نُقل إلى مستشفى فيه وعولج مجانًا.

ويجتهد كثيرون من عميان الملجأ في التكسب من بيع الفاكهة وأصناف البدالة (البقالة)، والإدارة تساعدهم في ذلك.

ولهم غرفة ملأى بأصناف الألعاب يراد بها تسليتهم، وغرفة كذلك للقراءة حوت جرائد وكُتبًا تاريخية وروايات وغيرها.

وفي فصل الصيف ترسل نظارة الحربية الموسيقى العسكرية إلى الملجأ يومي الخميس الأول والثالث من كل شهر فتعزف في ساحته ويجتمع فيها العميان وغيرهم لسماعها، فأنت ترى أن نزلاء هذا الملجأ حائزون أسباب الراحة والتسلية وقد يحسدهم عليها الفقراء المبصرون.

(٤-١) دخل الملجأ

دخْله من الهبات والوقفيات منذ ٦٥٠ سنة، وهي عديدة تُشرف عليها الحكومة الإفرنسية. ومنها أجور عمارات جمة ومنازل هي ملك الملجأ ومنها تياترو الفولي برجير ومن أبعاديتين كبيرتين، يضاف إلى ذلك كله عشرة آلاف جنيه ريع خمسة ملايين من الفرنكات وهو ثمن الأرض التي كان الملجأ مبنيًّا عليها في عهد المؤسس لويس التاسع.

وملجأ الكنزفين أغنى ملاجئ المعمورة وأوسعها. ويفضِّلون الآن إنشاء الملاجئ بعيدة عن المدن أو في ضواحيها حيثما يجد العميان الراحة والهناء والسكون. يسَّر الله لنا السبل لإنشاء واحد منها في هذا القطر العزيز.

ذيل

(١) جمعية التقدم للعميان بالإسكندرية

كتب إلينا المسيو موريس دي لا سيزران — والملزمة الأخيرة من هذا الكتاب ماثلة للطبع — يستعلم عن آلة كتابةٍ للعميان قدَّمها لمؤتمر القاهرة الأعمى الإسكندري الأديب خليل أفندي أرمانيوس رئيس «جمعية التقدم للعميان بالإسكندرية»، فسألناه عنها فأفادنا وأنبأنا في كتابه عن مدرسةٍ أسستها الجمعية المشار إليها سنة ١٩١٠. ولم نكن نعلم بها فرجونا منه أن يوافينا بشيء عنها لضمه إلى هذا الكتاب تتميمًا للفائدة وخدمةً لعميان مصر على العموم. لا سيما ونحن إنما وضعنا هذا الكتاب لنلفت به نظر الجمهور إلى هؤلاء البؤساء ونستنهض الهمم إلى مؤازرتهم جميعًا. ومدرسة «جمعية التقدم» تستحق المساعدة كغيرها من دور العميان المصريين. وإليك ما عرفناه عنها:

(١-١) جمعية التقدم للعميان بالإسكندرية

مدرستها في شارع سليم قبودان نمرة ١٤.
تأسست في ٩ يوليو سنة ١٩١٠.

(١-٢) الغرض منها

المادة «١»: منع الضرير عن التسول والتعرض للزحام في الطرق أو مضايقة المارة، ودفع الأذى عنه وحمايته من ارتكاب ما لا يحل فعله توسلًا إلى الارتزاق.

المادة «٢»: تعليم العميان صناعة يدوية مع القراءة والكتابة؛ ليتمكنوا من الارتزاق بصنع أيديهم. وذلك بإنشاء مدرسة يتعلمون فيها صناعة الصفصاف والخيزران على أنواعه مثل الكراسي والسلال والصناديق والموائد وما شابه ذلك، والقراءة والكتابة على طريقة العميان باللغتين العربية والإنكليزية.

المادة «٣»: إنشاء نادٍ للعميان التابعين للجمعية لينعكفوا فيه على العلم والمطالعة في أوقات الفراغ أو للتسلِّي ببعض الألعاب.

المادة «٤»: تأْليف فئة منهم لمؤاساة العميان، وحثهم على التعيُّش بصنع أيديهم وترغيبهم في العلوم والفنون.

(١-٣) لجنة شرف للجمعية

الرئيس: سعادة منصور باشا يوسف.

السكرتير: الخواجة أوجستو هزدا.

أمين الصندوق: الخواجة ماركو كالمارو.

(١-٤) أعضاء الشرف

حضرات الوجهاء: محمود بك الديب، عزتلو أحمد بك أيوب، إسماعيل بك حافظ، عزتلو يوسف بك لطفي، متري بك مقار، عزتلو محمد بك الدليل، مشيل بك أيوب، عزتلو محمد بك حسبو، جناب البارون ألفريد منشا، عزتلو الدكتور فلنسين بك، جناب الخواجة جورج تامفاكوا، جناب الخواجة بدوا، جناب الدكتور كماريني، جناب المسيو كانيفيه.

(١-٥) المؤسسون

قام بتأسيس هذه الجمعية خمسة من العميان، وطنيين وأجانب، مختلفي الأديان والمذاهب، يُحسنون التكلم بلغة هذه البلاد واللغة الإنكليزية وبعض لغات أُخرى. وهم ما برحوا يديرون شئون الجمعية، وتُشرف على إدارتهم لجنة الشرف المذكورة آنفًا.

(١-٦) الموجودون بمدرسة الجمعية

بلغ عدد العميان الذين انضموا إلى هذه الجمعية عشرين أعمى منهم سبعة تقوم الجمعية بكل نفقاتهم، والباقون لهم وظائف شهرية كلٌّ منهم على قدر طاقته في العمل، وقد بلغ ما يكسبه أحذقهم مائتَي غرش صاغ في الشهر. وللتلميذ أيضًا عند دخوله المدرسة مرتب شهري قدره ثلاثون غرشًا صاغًا ترغيبًا في تعليم الصناعة ومساعدةً له على نفقاته الضرورية.

(١-٧) مالية الجمعية

إن معدل دخل الجمعية الشهري ثلاثون جنيهًا مصريًّا وهي قيمة ما تجود به أيدي الكرماء تبرعًا لها، وثمن المصنوعات والتصليحات التي تُعمل بمدرسة الجمعية. أما نفقاتها الشهرية فهي تعادل هذا المبلغ، وتُنفق في إيجار المحل، والأدوات المستهلكة في الصناعة كثمن البضاعة وتصليح العُدد، وثمن المياه، ومرتبات التلاميذ والعمال، ونفقات التلاميذ الداخليين، وسائر النفقات النثرية كمرتبات الخدم ونفقات النور والأدوات المكتبية.

(١-٨) مصنوعات الجمعية

إن مصنوعات الجمعية هي كما ذُكرت في المادة الثانية من غرضها، وقد بلغ عدد أنواع الموائد التي عُملت بالمدرسة ثمانية، وعدد أنواع السلال تسعة عشر، وعدد أنواع الكراسي ثمانية عشر، فضلًا عن اختلاف حجمها، وقد صُنعت منها أنواع عديدة. والجمعية الآن على استعداد لاستحضار سائر الآلات والأدوات اللازمة لعمل المصنوعات الآتية وتشغيلها بالمدرسة؛ وهي: الفرش والمكانس والأبسطة والحبال والكراسي المصنوعة من قش البردي.

(١-٩) مبيعات الجمعية

توزعت وما زالت تُوزع مبيعات الجمعية بأثمان متهاودة جدًّا في الإسكندرية والقاهرة وبعض أنحاء الصعيد كالمنيا وأسيوط وبعض جهات الدلتا. وهي تشكر عملاءها الكرام على ثقتهم الصريحة بهذا المشروع الخيري الجليل.

خاتمة

دعوة للأُمة والحكومة

لا حاجة بعد ما ذُكِر لكشف النقاب عن تقصيرنا نحن معشر المصريين في تحسين حالة العميان عندنا، فقد أشرنا في الفصل الأول إلى عدد عميانناً بالنسبة إلى سكان القُطر، وأَبنَّا أننا لم نعمل حتى الآن شيئًا يئول إلى تحسين حالتهم، وهما أمران يحملاننا على النهوض عاجلًا لرفع غبار الإهمال عنا والنظر في هذه المسأَلة الهامة. وإننا نرى الغربيين مع ما أسدوا من الأيادي البيضاء إلى هذه الفئة البائسة لا يزالون مقصرين، فما القول فينا ونحن لم نُبدِ عملًا ما؟! أليس إهمالنا معيبًا، أوَليس من العار علينا أن نكون أول الأمم بعدد عميانناً وآخرها في مضمار تحسين حال أولئك البؤساء؟!

نشرت الجرائد المصرية إبان مؤتمر العميان وعند اختتامه مقالات عديدة تحث بها الجمهور المصري على مناصرة العميان في مصر. وحسبنا أن نورد مضمونها من مقالة لجريدة الأهالي عنوانها: «بعد المؤتمر»، أجملت فيها الكلام على الموضوع، وأملت أن لا تذهب الأصوات التي ارتفعت في ذلك المجتمع أدراج الرياح، وختمت مقالها بما نصه: «ها نحن منتظرون على الخصوص ما تفعله الأمة — وواجبها أن تفعل — دفعًا لمرض لصق بها وسُمِّيت بلادها به، وإغاثة لفئة من أشرف الأعمال أن تغاث ومن أجمل مظاهر التضامن أن تُمدَّ إليها يد المساعدة.» وقد وجهت نداءها أيضًا إلى الحكومة والأوقاف فقالت: «أما الحكومة فهي من الأمة والأمة منها، وأما ديوان الأوقاف فهو مجمع الأموال الخيرية ولا خير تُصرف فيه الأموال أشرف وأوجب من دفع غوائل الأمراض وتخفيف بلايا الإنسان.»

ولقد كنا نشرنا نحن أيضًا في ذلك الحين مقالة في إحدى الجرائد نستحثُّ فيها سكان القطر من مصريين ونزلاء على تأسيس مدارس ومصانع وملاجئ للعميان. وأبنَّا أن ذلك عمل حيوي يجب أن يشتغل فيه كل واحد على مقدار طاقته، ولا يلزم أن تُكلف الحكومة شيئًا، بل يتعين على الأفراد والجمعيات الخيرية أن يقوموا بهذه المهمة. وعدَّدنا أيضًا طرق الحصول على الأموال التي لا بدَّ منها لهذه المشاريع الخيرية، واقترحنا اقتراحات أخرى لا مانع من ذكرها هنا مع ما نرتئيه الآن:

إننا نرى من أكبر الضمانات إذا أسَّسنا جمعية لتحسين حال العميان — كما رغب أعضاء المؤتمر الدولي الرابع — وجوب وضعها تحت رعاية سمو الجناب الخديوي العالي مليكنا المعظم فيما لو تفضَّل بقبول ذلك، وأن تكون مختلطة جامعة كل العناصر لتعميم فائدتها، فتقبل عندئذٍ في أحضانها أولًا أعضاءَ شرفٍ من جميع الأغنياء والأعيان الذين يُحسنون إليها بما يريدون، وثانيًا أعضاءَ عاملين يدفعون اشتراكًا سنويًّا قدره خمسون غرشًا صاغًا، وهو قدر زهيد يهون دفعه على أيٍّ كان. وهكذا لو تيسر للجمعية الحصول على عشرين ألف مشترك لجمعت كل سنة عشرة آلاف جنيه كافية في البداءة للقيام بنفقات مدرسة ومصنع يضمان نحو مائتي تلميذ أعمى.

ويجب أن يسوَّغ لهذه الجمعية بعد تأسيسها إحياء ليالٍ وأسواق خيرية أو إنشاء يانصيب سنوي خيري لازدياد دخْلها. ونأمل أن يتجلى يومئذٍ كرم أغنيائنا بأبهى مظاهره ويتباروا في بناء المدارس والمصانع والملاجئ للعميان على نفقاتهم الخاصة كما شيد بعضهم مستشفيات الرمد، ويقفوا الوقفيات كما فعلوا للجامعة المصرية.

وحينما ترى الحكومة والمجالس المحلية ومصلحة الأوقاف إقبال الجمهور على هذه الأمور تحسينًا لحال العميان لا بد أن تشترك معه أيضًا، فتخصص الحكومة والمجالس المحلية جزءًا من نفقات ميزانيتها بهذه المشاريع لا سيما وهي موضوعة تحت رعاية الجناب العالي. ويساعدها حينئذٍ أيضًا ديوان الأوقاف وقد وُجِد لمساعدة البؤساء والتعساء، ومَن أشد تعسًا من هؤلاء الذين حُرِموا حاسة البصر؟!

ثم إن للطوائف المتعددة في القُطر جمعيات خيرية فلو اتفقت على دفع مبلغ سنوي لجمعية تحسين حال العميان لاجتمع أيضًا مال يسير يساعد هذا المشروع مساعدة كبيرة.

ولئن كان «تحسين حال العميان قد تجلَّى فيما مضى عند أهل الشرق على العموم وبني مصر على الخصوص قبل أن تخطر هذه الفكرة الخيرية على بال أهل أوروبا بزمن بعيد» — وهو قول سعادة أحمد باشا زكي في مقدمته لكتاب الصفدي — أمرًا لا ريب فيه، فما علينا إلا أن نقتدي بسلفائنا الشرقيين المتقدمين ونُظهر أن ذلك الدم العربيَّ الحاتميَّ لا يزال يجري في عروقنا ويدفعنا إلى إجابة نداء البائسين. لا سيما ونحن في عصر قد انتشر فيه العلم والتعليم وتسابقت فيه الأمم لتخفيف ويلات الإنسانية من كل الوجوه. حقق الله آمالنا وقدَّرنا جميعًا على خدمة هذه البلاد خدمة صحيحة نافعة في ظل أميرها المعظَّم، أطال الله أيامه تحفُّ من حوله ملائكة العناية والرعاية والإسعاد، آمين.

الدكتور نجيب كحيل
طبيب العيون بمصر

هنـــداوي